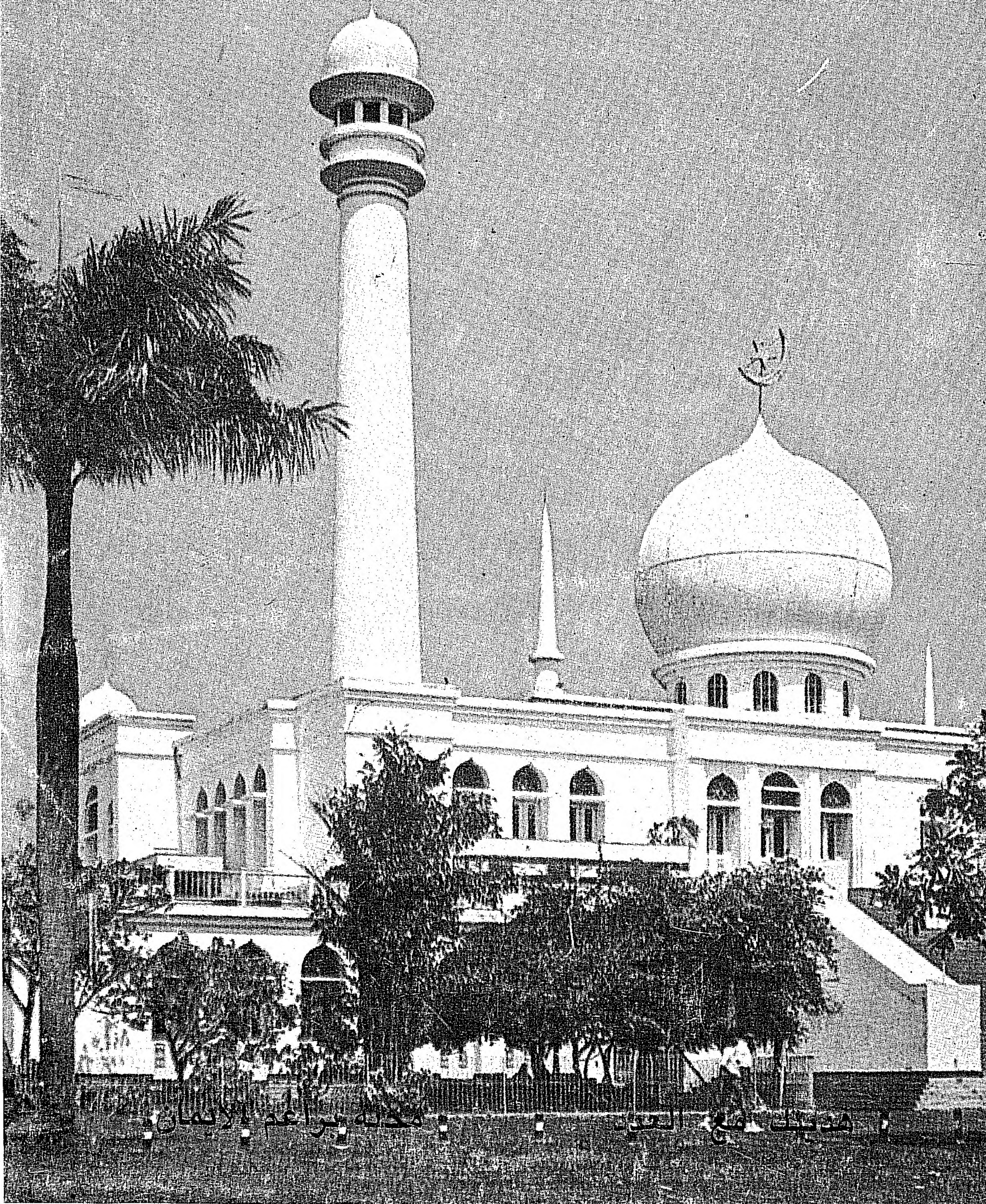
الوعي الإسلامي

العدد ٢٢٦ ـ شوال ١٤٠٣هـ ـ يوليو/اغسطس ١٩٨٣م




واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٦ - شوال ١٤٠٣هـ - يوليو/اغسطس ١٩٨٣ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)
ص. ب. ٤٢٢٨ - بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة العدد

احكموا بما أنزل الله لتخرجوا من الظلمات إلى النور

بعد الآيات التي انزلها الله في القرآن الكريم مبينة انه انزل التوراة على نبيه موسى فيها هدى ونور ليحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا وليحكم بها لهم الربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء .

وبعد الآيات التي ذكرت الانجيل الذي أنزله الله على عيسى مصدقا لما بين يديه من التوراة وامره أهل الانجيل ان يحكموا بما انزل الله فيه .. بعد هذه الآيات جاءت ايات تتحدث عن الشريعة الخاتمة التي انزلها الله للبشرية قاطبة لتستمد الحياة الانسانية منها التصور الاعتقادي والنظام الاجتماعي والأدب السلوكي ، ولتطبق بكل دقة ، ولا يترك شيء منها ويستبدل به غيره من صغيرة أو كبيرة .. والا فهي الجاهلية التي تغمر الانسانية في الفساد وتبعدها عن صراط الحكيم الخبير .. وتلك الآيات هي قوله تعالى : (**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون . وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم أنما**

يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) المائدة من ٤٨ ـ ٥٠ .

وهكذا يبين الله تعالى انه انزل القرآن الكريم على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالحق والصدق فلا ريب في انه من عند الله ، ويتمثل الحق في محتوياته وفي كل ما يعرض له من شؤون ، وما يقصه من أخبار ، وما يحمله من توجيه ، وهو مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه . فهو الصورة الأخيرة لدين الله ، وهو المرجع الاخير في شرائع الناس ونظام حياتهم بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل ، وهو الأمين والحاكم والشاهد على الكتب قبله حيث جمع الله فيه ما اراد بقاءه منها وزاده من الكمالات ما ليس في غيره ، وتكفل تعالى بحفظه فقال سبحانه : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر ـ ٩ .

والكتب المتقدمة على الاسلام في صورته الاخيرة قد تضمنت ذكر القرآن الكريم ومدحه وانه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) فكان نزوله كما اخبرت به مما زادها صدقا عند حامليها من ذوي البصائر الذين استجابوا لأمر الله واتبعوا شرائعه ، وصدقوا رسله كما قال تعالى : (**إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا**) الاسراء ١٠٧ ـ ١٠٨ .

وفي الآيات التي قدمناها يأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يحكم بين الناس بما انزل الله ، والا ينصرف عن الحق الذي امره الله به الى اهواء الجهلة الاشقياء (**فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق**) .

وهذا الأمر حاسم لا يدع طريقا للتساهل في أحكام شريعة الله بدعوى مراعاة الاعتبارات والظروف وتأليف القلوب حين تختلف الرغبات والأهواء .. وقد بين الله أنه جعل لكل رسول من رسله شريعة على حدة ثم نسخها أو نسخ بعضها برسالة رسول آخر يأتي بعده ، ثم نسخ الجميع بالرسالة الخاتمة العامة لجميع الناس التي بعث بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وندب الجميع إلى المسارعة والمبادرة الى الخيرات اي الى طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخا لما قبله ، والتصديق بالقرآن الذي هو آخر كتاب أنزله ، وبخاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام ، وأن الجميع سيرجعون الى الله وينبئهم يومئذ بما كانوا فيه يختلفون وذلك قوله تعالى (**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون**) .

ثم يؤكد الله الأمر بالحكم بما أنزل ، وعدم اتباع الأهواء ويحذر رسوله من الانصراف عن بعض ما أنزل الله إليه ويبين أن من تولى عن حكم الله سيصيبه الله ببعض ذنوبه .. وذلك قوله تعالى : (**وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فان تولوا فأعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون**) ويقول الله جل شأنه لرسوله : (**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**) يوسف/١٠٣ .. (**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله**) الأنعام ١١٦ .

وفي ختام الآيات ينكر الله على من خرج عن حكم الله المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر إلى ما سواه من الآراء والاصطلاحات التي وضعها ذوو الأهواء بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات التي يضعونها بآرائهم وأهوائهم .. والجاهلية كما يصفها الله ويحددها قرآنه هي الحكم بغير ما أنزل الله ، فهي ليست فترة من الزمان وإنما هي وضع من الأوضاع وهذا الوضع وجد بالأمس ، وكلما وجد أخذ صفة الجاهلية التي تقابل الاسلام وتناقضه .

وقد بين الله أنه لا أعدل منه في حكمه لمن عقل عن الله شرعه واهتدى به ، وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها . قال الحافظ الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « أبغض الناس الى الله عز وجل من يبتغي في الاسلام سنة الجاهلية ، وطالب دم امرىء بغير حق ليريق دمه » .. وذلك قوله تعالى : (**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**) المائدة/٥٠ .

والحكم بما أنزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم إيمان لا يعرض عنه إلا الكافرون ، وعدل لا يتولى عنه إلا الظالمون ، وطاعة لله لا يتركها إلا الفاسقون وصدق الله في قوله (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**) المائدة/٤٤ .. (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**) المائدة/٤٥ ..(**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**) المائدة ٤٧ .

نسأل الله ان يوفق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الى الاستمساك بدينهم والحكم بما فيه حتى يخرجوا من الظلمات الى النور ويرتبطوا برباط الأخوة الاسلامية الوثيق ويتعاونوا على جلب الخير ورفع الشر انه سميع مجيب .

رئيس التحرير

محمد الناصري

آداب ترتيله والاستماع إليه

للدكتور / أحمد حسنين القفل

(١)

هناك أحاديث كثيرة توضح فضل القرآن وعظمته ، وتشير إلى أنه أفضل ما يتقرَّب المتعبدون بتلاوته إلى الله تبارك وتعالى ، ولا غرو في ذلك ، فانه كلام الرحمن ، أنزله على أصفى أصفيائه ، وأغلى أحبائه ، فكان نعمة سابقة على أمة شهد الله أنها خير أمة أخرجت للناس ، إنها الأمة الوسط ، أمة القرآن . وعلى عكس الكتب التي بين يديه كالتوراة والانجيل فان القرآن قد تكفل الله بحفظه ، وكفل سبحانه استمراره بالصورة التي نزل عليها وإلى يوم الدين . يقول سبحانه : (**إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون**)

الحجر / ٩ . ونسوق من الأحاديث الدالة على عظمة القرآن وفضله ما يأتي :

● في حديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم . إن هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الردّ ، اتلوه فان الله يأجركم على تلاوته ، كل حرف عشر حسنات ، أما اني لا أقول : ألم حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » رواه الحاكم .

● وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضى الله عنه فقال له : « عليك بتلاوة القرآن ، فإنه نور لك في الأرض ، وذخر لك في السماء » رواه ابن حبان .

(٢)

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن قائما أو قاعدا ، وعلى جنبه أو مضطجعا ، ومتوضئا أو محدثا ، لا يمنعه من ترتيله إلا أن يكون جنبا . وكان يتلوه آية آية في تدبر وتمعن وعلى مهل . كما كان عليه الصلاة والسلام يحب أن يستمع إلى تلاوة القرآن من غيره ، فقد أثر أنه طلب من ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن يسمعه قرآنا ، فتردد وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « أأقرأ وعليك أنزل ؟ » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أحب أن أسمعه من غيري » فأسمعه ابن مسعود سورة النساء حتى إذا انتهى في قراءته إلى قول الله تعالى : (**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**) النساء / ٤١ . استوقفه رسول الله واغرورقت عيناه بالدموع استشعارا بالرهبة والهيبة ، واستعظاما لقدرة الخالق وثقل المسئولية ، وإشفاقا ورحمة بأمته من هول الموقف في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم ، يتلو القرآن حق تلاوته ، ويقرؤه كما سمعه من جبريل الذي نزل به بلسان عربي مبين . ويؤثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل » . وبالكيفية التي تلقاها الرسول للقرآن من ربه سبحانه وتعالى ، علمها بعض أصحابه ، فقد أُثر عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « خذوا القرآن من أربعة : من عبدالله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب » صحيح البخاري . وعن هؤلاء نقل الكثيرون من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

(٣)

وتلاوة القرآن عبادة ، بها يتقرب

العبد إلى مولاه ، وبها يكسب الحسنات والثواب الجزيل فقد أثر : « أن من أراد أن يتقابل مع الله ويناجيه فعليه بالصلاة ، ومن أراد أن يكلم الله فعليه بتلاوة كلامه » .
وثواب تلاوة القرآن توضحه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية :
أ ـ فمن الآيات الدالة على ذلك نجتزىء قول الله تعالى :
○ **(قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)** يونس / ٥٨ .
○ **(إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا)** الأسراء / ٩ .

○ **(إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور)** فاطر / ٢٩ و ٣٠ .

ب ـ ومن الأحاديث النبوية نسوق بعض ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم :
● « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي .
● « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه » رواه مسلم عن أبي أمامة .
● « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » عن عثمان بن عفان ـ رواه البخاري .
● « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها » رواه أبو داود والترمذي والنسائي .
● « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » عن عبدالله بن عمرو بن العاص مسند أبي داود .

(٤)

ويأمرنا الله تبارك وتعالى أن نرتل القرآن فيقول سبحانه : **(ورتل القرآن ترتيلا)** المزمل / ٤ .
والترتيل يشتمل على تجويد الحروف وكذلك معرفة احكام الوقف . ويقصد بالتجويد إعطاء كل حرف في الكلمة حقه ومستحقه بمعنى أن يرد إلى مخرجه وأصله فينطق به على كمال هيئته بلا إفراط ولا تكلف فتحلو بذلك القراءة . أما الوقف فهو كف الصوت عند آخر كلمة من عبارة تتلى زمنا يتيح للقارىء أن يتنفس ليستأنف القراءة ثانية . والترتيل على النحو السابق عبادة . وقد تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن مجوّدا ، وكذلك وصل إلينا بالتواتر ، فأصبح تجويده واجبا شرعيا يثاب القارىء على فعله ، ويجازى على تركه . والترتيل يستوجب أن يتبع الكلام بعضه بعضا بلا عجلة بل على مكث ليتدبر القارىء

والمستمعون جميعا ، وبهذا يشترك اللسان والعقل والقلب ، أما اللسان فيجوّد ، والعقل يفسّر المعاني فيتاح للقلب أن يتفكر ويتدبر ويتأمل . وفي هذا الشأن يقول سبحانه : (**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب**) ص / ٢٩ · ويقول سبحانه : (**وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**) الحشر / ٢١ .

هذا ولقراءة القرآن صور أخرى - غير الترتيل - وهي :

١ - التحقيق : ويقتضي المبالغة في الإتيان بالقراءة على حقها من غير زيادة ولا نقص في أحكامها .

٢ - الحدر : ويقتضي الاسراع في القراءة وإدراجها مع مراعاة تقويم اللفظ وتمكين الحروف .

٣ - التدوير : وهو التوسط بين الحالتين السابقتين وهو ما ورد عن أكثر الأئمة ممن وسطوا المد المنفصل .

ولكن اي صورة للقراءة أفضل ؟

١ - ذهب البعض الى تفضيل الحدر لكثرة المقروء استنادا الى حديث عبدالله بن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وسلم) انه قال : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها » رواه الترمذي وصححه .

٢ - معظم السلف والخلف يفضلون الترتيل مع قلة المقروء تحقيقا للتدبر والتفقه لقوله تعالى :

(**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**) محمد/ ٢٤ . ويرى الإمام أبو حامد الغزالي أن الترتيل أدعى إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا على القلب .

ومن أحكام الترتيل عامة ما يلي :

١ - حسن الأداء : وهذا فرض على من يتلو القرآن حتى لا يجد اللحن الى قراءته سبيلا . فأحكام التجويد يجب مراعاتها بدقة .

٢ - معرفة كيفية الأداء بمعنى ان ينطق القارىء على الصفة التي نزل القرآن بها . ولا يكفي في هذا الصدد أن تتم القراءة من المصحف على كمال ضبطه وسلامته بل لابد من التلقي والأخذ بالسماع عن متلق سامع سابق واعٍ . وقد يتم ذلك بالمشافهة على استاذٍ من اساتذة القراءة سبق له ان شوفه به وأجاد حفظا وتجويدا . واذا لم تتح الفرصة ذلك فاذاعة القرآن الكريم مجودا من الاذاعة قد تغنى في هذا الصدد لمن يتاح له سماعها ومتابعتها . لكن الاستماع المباشر أجدى وأنفع .

٣ - حرمة تلحين القرآن واخضاعه للايقاعات والأوزان الموسيقية لما في ذلك من خروج على محكم تلاوته وصرف القلب عن تدبر آياته وخروج بالقرآن عن جلاله ووقاره وقدسيته .

● وفي الفترة الأخيرة علت اصوات تنادي بتلحين القرآن والتغني به على اصوات موسيقية ، وايقاعات فنية ، وبأصوات تبدو للناس مشجية رخيمة - وليعلم الذين علت اصواتهم بهذه النزوة الطائشة ، ان الشيطان قد سول لهم فأضلهم وأعمى أبصارهم . لأنهم يعاملون كلام الله

معاملة كلام البشر ، وينزلون القرآن الكريم منزلة الهزل واللهو والمجون . ولا ندري كيف يجترئون على بحر يخوضونه وسيغرقون فيه لا محالة – وعلى ارتكاب منكر لا يملكون منه تـوبـة ، لأنهم لا يعصـون اللـه بأنفسهم ، ولكن يستنون سنة سيئة ليكون عليهم وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة .

● كما ان بعض القارئين للقرآن في المآتم او الحفلات .. الخ يرتلـون القـرآن ولكنهم يفتعلـون مـدودا وتمطيطـات في قـراءاتهم ، كمـا يتلاعبون بالألفاظ مما يتنافى مع جلال القرآن ، قاصـدين بذلـك التلحين والتطريب ، ومشترين بذلك استملاح المستمعين السذج ، سعيا لشهرة او اشباعا لشهوة . ناسين ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد حذر من ذلك فقال : « اقرؤوا القرآن بلحون العرب واصواتها ، واياكم ولحن اهل العشق ولحون اهل الكتـاب . وسيجيء بعدي قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم ، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » نوادر الأصول ابو داود عن حذيفة .

(٥)

وهنا قد يطرح سؤال مؤداه ان هناك احاديث نبوية صحيحة تشير الى تزيـين القرآن بـالصوت والتغني به جهرا . يقول صلى الله عليه وسلم :

● « زينوا القرآن بأصواتكم » سنن النسائي وابو داود عن البراء .

● « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » اخرجه مسلم .

● « ما أذن الله لشيء كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » البخاري ومسلم .

فهل بعد هذه الاحاديث من عتاب او لوم على من يتغنون بالقـرآن ، ويحسنونه بأصواتهم ؟. الحق ان العلماء ناقشوا طويلا هذه المسألة وأجمعوا على ان المقصود بتزيـين القرآن بالصوت والتغني به هو ترتيله بإحكام بحيث لا يتعدى نطاق الحدود المرسومة له في علم التجويد كما اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد يقول قائل ان التطريب بالقرآن منعه بعض السلف الصالح « منهم انس بن مالك وآخرون » .

واجازه آخرون « منهم عمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود وابو حنيفة .. وغيرهم » ، واذا كان لكل فريق وجهة نظره وادلته ، الا ان فصل الخطاب – كما قال ابن القيم في زاد المعـاد – ان يتمشى التطـريب والتغني حسبما تسمح به الطبيعة دونما تكلف ولا تصنع ودونما تمرين ولا تعليم ، فمثل هذا الذي يأتي بالسليقة يكون جائزا ، ومثاله ما قاله ابو موسى للنبي صلى الله عليه وسلم : « لو علمت انك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيرا » رواه ابو داود . والتحبير تطريب يأتي بالسليقة دون تكلف ولا تصنع بل هو انفعال نفساني لا يملك صاحبه له دفعا .

اما التغني والتطريب الذي يتكلفه ويتصنعه اغلب قرائنا في عصرنا الحالي ، بحيث يخضعون اصواتهم لنبرات وتلحينات يقصدون بها اجتذاب سامعيهم من السذج لاصدار اصوات الاستحسان والتشويش فهذا ما انكره السلف الصالح وعابوه .

(٦)

٤ ـ ومن احكام الترتيل ايضا كراهة رفع الصوت لقوله صلى الله عليه وسلم : « احسن الناس صوتا من اذا قرأ القرآن رأيته يخشى الله تعالى » عمدة القارىء عن جابر . وقوله صلى الله عليه وسلم : « ايها الناس : أربعوا « اي كفوا وأرفقوا » على انفسكم فانكم لستم تدعون اصم ولا غائبا » الجامع للقرطبي .

ولقد اصبحت بدعة ان يستخدم القارىء للقرآن مكبرا للصوت في المآتم أو المناسبات العامة بحيث لا يقتصر الاستماع على الحاضرين وحدهم بل يتعداهم ليحدث ضجة كبيرة تسمع على مسافة اميال ، فيقلق بذلك مريضا ، او يزعج نائما ، او يربك اعمال الآخرين . ومما يزيد الطين بلة ، ان تقام سرادقات المآتم متجاورة ، بحيث يستخدم كل قارىء مكبرا للصوت مستقلا عن الآخرين ، فاذا ما قرؤوا جميعا ، اختلطت الأصوات ، وامتزجت النبرات ، وضاعت المعاني ، وفات المستمع التدبر والتأمل .

(٧)

ومن احكام الترتيل ايضا :

٥ ـ الاستعاذة من الشيطان الرجيم ويلاحظ بخصوصها :

أ ـ انها مستحبة في رأي البعض ، او واجبة في رأي الآخرين ويجهر بها عند بداية الترتيل ، لقوله تعالى : (**فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**) النحل/٩٨ .

ب ـ لا تجوز الاستعاذة بين السورتين في الترتيل المتصل .

جـ ـ يفضل الفصل بين الاستعاذة والبسملة ، وبين البسملة وأول السورة .

٦ ـ من السنة عند التلاوة الوقوف عند آخر كل آية من آيات القرآن ، لأن هذا الوقف توقيفي .

واذا كان الوقف ممنوعا عند آخر الآية لعدم تمام المعنى الا بما بعدها ، فيمكن الوقوف عند آخرها في التلاوة الأولى ثم اعادتها بلا توقف مرة ثانية ليستكمل بذلك المعنى المنشود . (وقد يكون هذا الوضع امتحانا لتدبر القارىء ومبلغ متابعته للمعنى) .

٧ ـ عدم ترك آيات الترهيب والتخويف ، كما يفعل بعض القارئين في المآتم والحفلات ، وكأنهم بذلك يقصدون عدم تخويف المستمعين بآيات الوعيد مفضلين عليها آيات الترغيب . والأفضل قراءة الآيات متصلة كما انزلت بترتيبها .

٨ ـ عدم الجمع بين القراءات المختلفة في التلاوة الواحدة وقصر ذلك على المقامات التعليمية . والملاحظ حاليا ان

كثيرا من قارئي القرآن الكريم يتفننون في قراءة الآية الواحدة بقراءات مختلفة مدللين بذلك على مقدرتهم وعمق خبرتهم وتمام تمكنهم مع ان ذلك قد يكون غير مستساغ بالنسبة للمستمع العادي ، او كثيرا ما يخرج به عن مقام التدبر والتأمل ، كما ان القراءات تغرى القارىء نفسه بالتغني والتطريب والتنغيم . والأولى بالقارىء ان يقرأ بقراءة واحدة تتناسب مع المستمع حسب موطنه .

٩ ـ من آداب التلاوة إتيان سجدة التلاوة فهي تجب على القارىء والمستمعين جميعا فور قراءة احدى آيات السجود عند الترتيل . وهذا الحكم يغفل عنه الكثيرون ، قارئين ومستمعين .

١٠ ـ حامل القرآن يجب ان يكون قدوة حسنة لغيره كلاما وسلوكا ، فلا يلهو مع اللاهين ، ولا يلغو مع اللاغين ، اجلالا لكلام الله الذي يتلوه ، وهو في ذلك يطيع كلام الله الذي يقول :

(ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) آل عمران / ٧٩ .

(٨)

وماذا عن أجر التلاوة ؟

يرى فريق من العلماء عدم اعطاء القارىء اجرا على تلاوته معتمدين في ذلك على قوله سبحانه : **(قل ما أسألكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين . إن هو الا ذكر للعالمين)** ص / ٨٦ و٨٧ ومع ذلك فيرى فريق آخر تجويز اعطاء الأجر لمن يقومون بتعليم القرآن او تلاوته اذا لم يكن لهم مصدر رزق سوى ذلك ، وهم يستمدون رأيهم من قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) :«ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله تعالى » الكنز الثمين ـ ابن عباس .

والملاحظ في عصرنا الحالي ان قراءة القرآن اصبحت تجارة خاضعة للعرض والطلب . فالتالون للقرآن يرفعون اجورهم بمقدار ما يتهافت عليهم المؤجرون ، وهؤلاء كثيرا ما يتنافسون فيما بينهم رياء وتظاهرا ، وقد يقصم تظاهرهم ظهورهم وهم لا يشعرون . وقد يظلمون بريائهم ايتاما واطفالا لم يبلغوا الحلم بعد ، او محتاجين هم اولى بمال ينفق بلا إعمال فكر .

ومن المؤسف حقا ما يلاحظ ـ وخاصة في القرى ـ ان صاحب المأتم يستأجر قارئا او اكثر ليتلو القرآن ، بينما توزع السجائر وتشعل . وتوزع القهوة وتشرب ، كل هذا اثناء القراءة وبلا القاء بال لها ، بل قد يدور حوار ونقاش وهمس ولمز بين واحد وجاره ، وكأن القارىء يقرأ لغيرهما . وقد يحضر المأتم اثناء القراءة واحد من ذوى الجاه او السلطان ، واذا بالجالسين من المعزين ينفرون زرافات ووحدانا لاستقباله وتحيته ، ناسين او متناسين جلال كلام الله ووقاره ، وانه

سبحانه يأمرنا فيقول : (**وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون**) الاعراف/٢٠٤

(٩)

وبناء على الآية الكريمة السابقة ، نكون مأمورين من قبل الله تبارك وتعالى بأن نستمع وننصت عند سماع تلاوة القرآن ، من قارىء بذاته او من جهاز ينقل القراءة « الاذاعة المسموعة او المرئية » ويقتضي الاستماع حضور القلب مع السماع ، ويقتضي الانصات عدم احداث جلبة او ضوضاء او تشويش يذهب بجلال الاستماع ، كما يحرم اللهو واللغو والانشغال بأمور جانبية ويقبح تعلية الصوت حتى ولو كان يرمز الى الاستحسان . فكل ذلك يجافي التدبر والتأمل والتذكر كما انه يتنافى مع جلال كلام الله وحضور ملائكة الرحمة . يقول سبحانه :

○ (**كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الألباب**) ص / ٢٩ .

○ (**افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها**) محمد / ٢٤ .

واذا كان الأمر كذلك ، فما بال قوم اذا قرىء فيهم القرآن لا يستمعون ولا ينصتون ؟ وانما يسلكون مسلكا غوغائيا ، فيصيحون صيحات منكرة يحسبونها من جانبهم استحسانا ، وهي في الحقيقة منهم رعونة واستهجان ، انهم يصرخون عند كل مقطع متفننين في التشويش ، متغالين في رفع الأصوات بالاعادة او تقريظ القارىء ، وكثير منهم لا يفرقون بين وعد ووعيد ، فكلمات استحسانهم تنطلق جزافا بعد كليهما ، مما ينطق بأن كل أفعالهم تتجافى مع التدبر والتأمل والوقار الواجب لذكر الله . ويكون هذا المظهر اكثر استنكارا اذا كانت التلاوة في المساجد ، فانهم لا يراعون حرمة لبيت الله ولا لكلام الله ، فهل يمكن ان تتنزل رحمات الله على مثل هذا الجمع الصاخب ؟ وهل يمكن ان تحف الملائكة امثال هؤلاء العابثين ؟.. اللهم انه منكر لا يرضيك ، فاعف عن عبيدك واصفح ، فانك غفور رحيم . اما هؤلاء القوم فعليهم ان يتدبروا قول الله : (**واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق**) المائدة/٨٣ .

(١٠)

ومن آداب الترتيل ايضا :

١ ـ يحرم الترتيل مع الحدث الأكبر وكذلك مع الحائض والنفساء ، لكن الحدث الاصغر لا يمنع من قراءة القرآن مشافهة اما من يتلو من المصحف فواجبه ان يكون كامل الطهارة بدنا وثوبا ومكانا ، لقوله تعالى : (**لا يمسه الا المطهرون**) الواقعة/٧٩ . اما في حالة التعليم والتلاوة المستمرة للكبار والصغار فلا يمنع منها الحدث الأصغر تيسيرا على القارئين .

٢ ـ يستعاذ من الشيطان الرجيم عند

بدء القراءة ويعقب ذلك البسملة ويراعى ذلك سواء بدأ الترتيل من اول السورة او من اي مكان فيها فيما عدا سورة التوبة فتبدأ بدون بسملة .

٣ ـ يفضل استقبال القبلة ، وعدم الانشغال بغير القرآن ، والتوقف عن التلاوة عند التثاؤب ، وطلب الفضل من الله بعد قراءة آية وعد او رحمة ، والاستجارة به سبحانه بعد قراءة آيات الوعيد ، والتيقن من تفسير الكلمات الصعبة ، والتأمل في غريب القرآن ، ووعي اعراب كلماته .

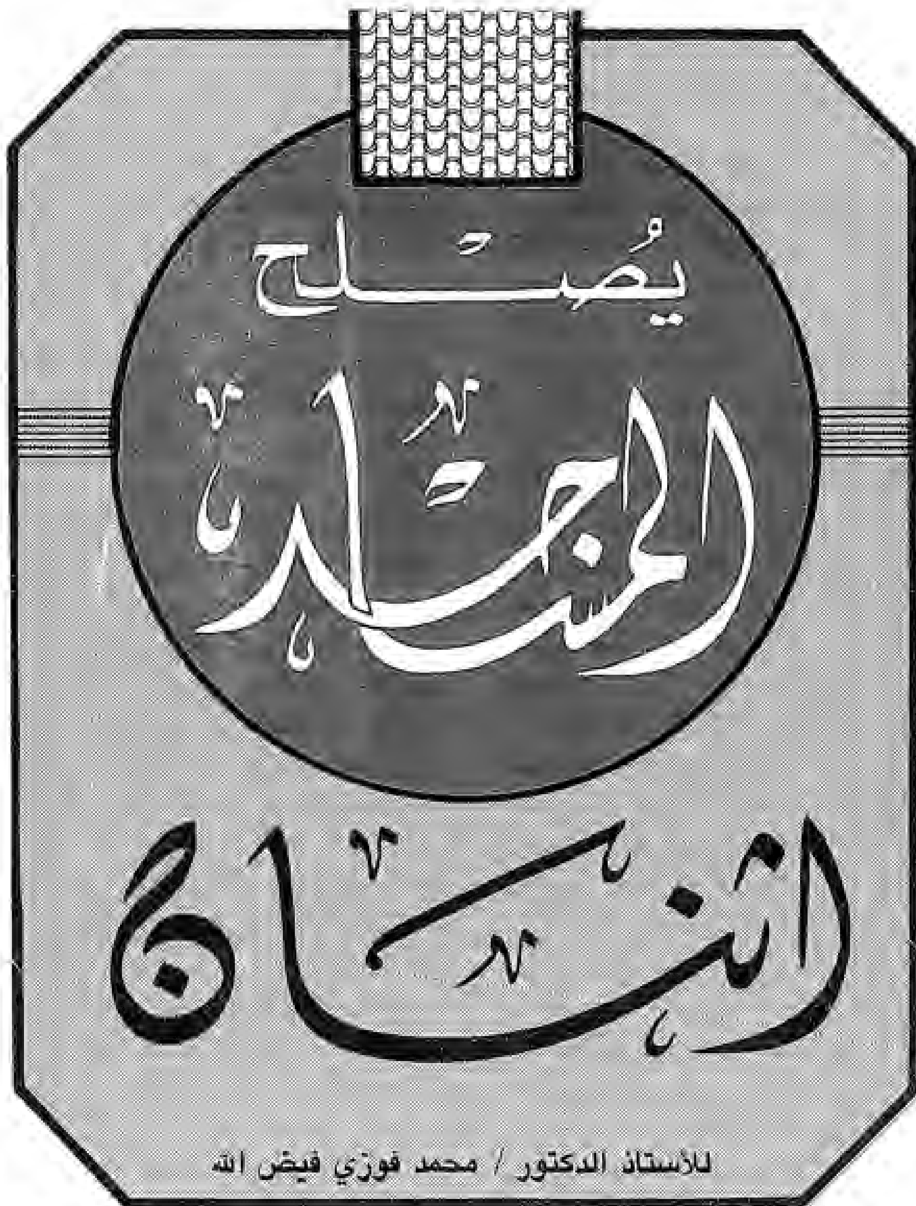
٤ ـ عند ختم القرآن والانتهاء بتلاوة سورة « الناس » يستمر القارىء فيضيف قراءة الفاتحة ثم الآيات الخمس الأولى من سورة « البقرة » ثم يردد دعاء ختم القرآن او يدعو بما شاء .

وحبذا لو رتب المسلم على نفسه كل يوم حزبا من القرآن يحدده حسب ظروفه المتاحة له وعلى سبيل المثال والتوضيح كان السلف الصالح ـ بخصوص قراءاتهم من القرآن الكريم ـ يختمون القرآن في مدة لا تقل عن ثلاثة ايام ولا تزيد على الشهر ، ذلك لان الختم في اقل من ثلاثة ايام يقتضي اسراعا لا يعين على التدبر والتفهم ، اما الختم في اكثر من شهر فيعد اسرافا في هجر التلاوة . والحد الوسط ان يختم المسلم القرآن كل اسبوع مرة ، فبهذا القدر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عمرو،كما فعل مثل ذلك كثير من صحابة رسول الله كعثمان ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود،وابي بن كعب رضي الله عنهم اجمعين .

وهناك سور خاصة يستحب تلاوتها كثيرا ـ كأوراد يومية ـ مثل يس ـ الدخان ـ الواقعة ـ الملك ـ الكهف ـ آل عمران ـ الكافرون ـ الاخلاص ـ المعوذتان . الفاتحة ..

كما ان هناك آيات خاصة تضفى بركاتها على مكرر قراءتها مثل آية الكرسي ـ خواتيم سورة البقرة ـ اول وآخر آيات سورة الكهف ـ الآيتان الاخيرتان من براءة .. الخ . وقد ورد بخصوص السور والآيات احاديث كثيرة جدا لا داعي لتسجيلها هنا لطولها .

وخير ما نختم به مقالنا ، هو تسجيل حديث شريف يصف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام الله : عن علي رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ستكون فتن » قلت : فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : « كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله ـ وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الترداد ، ولا تنقضي عجائبه . من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » أخرجه الترمذي وغيره .



المسجد في نظام الاسلام ، هو بؤرة التوحيد ، ومركز الاشعاع الروحي والمنطلق لاشاعة التوجيه الديني : فهو المجتمع لأداء الفريضة الكبرى في الاسلام ، وشعيرته الأولى ؛ وهو المدرسة التي تتلقى فيها احكام الشريعة وتعاليم الدين الحنيف . وهو المصنع الذي تصاغ فيه النماذج التطبيقية الحية المتحركة للاسلام ؛ وهو المصفاة التي تجلو صدأ القلوب وتنفى عنها ادران المادة ، واكدار الدنيا . وهو ايضا مراح الارواح فيه غذاء النفوس ، وجلاء الافهام ، ومنار العقول ، وقول الحق ، والتعرف على الحقيقة والصلة بعلام الغيوب .

المسجد مهوى افئدة المؤمنين ، ومتردد المصلين ، ومعلمة هذا الدين : يتلقى

فيه المسلمون كل يوم خمس مرات دروسا عملية في المساواة الرفيعة والطاعة المثلى ، والانقياد الخاضع الخاشع لرب العالمين وحده ؛ وفيه تشيع المحبة المخلصة المترفعة عن الاغراض والحطام وتنعقد اواصر الاخوة الدينية التي تفجر في المسلمين التراحم وتدفق فيهم معاني الإيثار والتناصح وتوطد عرى التآلف والتناصر فيعرف المسلم لاخيه حقه ، ويهتم بأمره ، ويواسيه في محنته ، ويمنحه بره ، ويبذل له الكثير من ولائه ، والجميل من قوله ، والصالح من فعله ، والفاضل وغير الفاضل من ماله .

من اجل هذه المقاصد الانسانية السامية الشاملة ، سميت المساجد بيوت الله ، لأنك لا ترى فيها الا الخير ، ولا تسمع الا البر ، ولا تشهد الا ما يذكرك برب العالمين ، ويعرج بك الى علام الغيوب ، وما هذه التسمية والنسبة الا لتشريف المساجد وتعظيم الشعائر ، وتمييز هذه الرحاب الخاصة بالطيب والطهر والقدسية .

ومن اجل تلك الاهداف الحيوية النبيلة الشامخة حرص الاسلام على اقامة المساجد واذن بتشييدها لاعلاء كلمته ، وتسبيحه وتمجيده : « في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ... » وجعلها المولى سبحانه خاصة به ؛ لا يذكر فيها غيره ، ولا يدعى فيها سواه : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا » .

وقد بادر النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الى بناء المسجد قبل كل شيء في ارساء قواعد مجتمعه الجديد ، ووضع الدعامة التي لا بد منها لاداء رسالته ، واظهار شعائر دينه الذي حورب في مكة سنين طويلة .

بنى مسجده الجامع حيث بركت ناقته ، ليُجَمِّعَ فيه المسلمين ويبث فيهم شرع الله ودينه الحنيف ، وينقيهم من ادران المادة ، ودسائس الدنيا ويطهرهم من لوثاتها ، ويوصلهم بضياء الوحي الى مرضاة رب العالمين . وانقطع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مسجده لاصحابه ، كان هو موضع العبادة ، ومعهد العلم الديني وندوة الادب الاسلامي وكان متعلق القلوب ومَسَرَّ خيال المؤمنين لا يغادرونه الا ليلتقوا فيه ولا ينصرفون عنه الا ليعودوا اليه .

لم يكن المسجد النبوي سامقا ولا شامخا بل كان على العكس من ذلك ، سقفه من جريد النخل ، واعمدته من جذوعه وارضه مفروشة بالرمال والحصباء . ومع ذلك فقد قَدَّمَ الى الأمة النماذج الحية للاسلام والقادة الذين قوضوا معاقل الشرك وملوك الظلم ، ودول الطغيان ونشروا العدل والسلام . وذلك بفضل النبي الامي الذي كرس حياته للمسلمين في هذا المسجد ، وانقطع فيه اليهم يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويبين لهم ما نزل اليهم ويحملهم امانة هذا الدين ويهديهم الى صراط الله العزيز الحميد .

وتتابع الخلفاء من بعده ، وحكام المسلمين يبنون المساجد ويتسابقون الى

اقامتها في كل مصر وقطر ، لتكون موئل اهل الدين ومركز الاشعاع الاسلامي وجامعة العلوم الدينية ومنابر علماء المسلمين : المسجد الجامع في البصرة ، وجوامع بغداد ، وجامع بني امية في دمشق ، والجامع الازهر الشريف في القاهرة ، وجامع الزيتونة في تونس ....

كانت هي الجوامع وكانت هي المعاهد والجامعات ، يؤمها الدارسون والمدرسون وكانت رمز الاسلام ، وعلامة التوحيد في كل بلد اسلامي .

وكانت محط عناية الحكام والخلفاء الاسلاميين ؛ وكانت العناية بها من اهم ما تتجه اليه انظارهم ويشغل حياتهم .

وفي الروايات التاريخية الصحيحة ان سيدنا عليا ـ كرم الله وجهه ـ لما تولى الخلافة سارع الى جولة تفتيشية في المساجد والجوامع ، التي تتركز في حاضرة خلافته وفي العراق ، على التخصيص ؛ وكان يهدف من ذلك اصلاح المساجد باعتبارها مراكز الهداية والاصلاح الديني فكان يتخير الصالح ويعين الأصلح لإمامة الصلاة ، وخطبة الجمعة والوعظ الديني واقراء القرآن وتبيان الاحكام وتثقيف العامة ، والافتاء في المستجدات والاجابة عن المسائل ، وحل معضلات المشاكل العملية والعقدية .

فتقول الروايات : إنه ـ رضي الله تعالى عنه ـ ما دخل مسجدا ولا صلى خلف إمام ولا استمع الى عالم الاوانكره وانتقده ، فعز له وولى الاصلح منه في نظره .

حتى اذا بلغ البصرة ، دخل مسجدها الجامع ، فصلى التحية ، ثم جلس مع القوم ، يستمع الى ما يستمعون اليه ، وفيهم الشيخ المسن ، والكهل الكامل ، والشاب الجلد ، والحدث اليافع ؛ وكانوا ينصتون باقبال وحسن تفهم ، وفيهم من يكتب ما يسمع ؛ وكلهم يحتفي بما يلقي اليه فيحفظه في صدره او يسجله في قرطاسه ...

فراعه ـ رضي الله تعالى عنه ـ هذا المشهد الرائع بحق ، وزاد في روعته ان المتحدث لم يكن من الشيوخ المسنين ، ولا المدرسين المشهورين ، ولا الفقهاء البارزين ولا الرواة الموثقين ، وانما كان غلاما حدثا لم يبلغ بعد الحلم واستمع مع المستمعين في اعجاب واكبار ، وشيء غير قليل من الدهشة والاستغرابفلماانهى الغلام الفذ حديثه ، تقدم اليه الخليفة الامام ، وقال : يا غلام : انك قد تحدثت فاجدت وقلت فأصبت وافصحت ؛ واني سائلك سؤالين :

اولا : ما هو عماد هذا الدين ؟

فقال الغلام : عماد هذا الدين الورع .

ثانيا : ما هي آفة هذا الدين ؟

فقال الغلام : آفة الدين الطمع .

فقال له على كرم الله وجهه ـ : تكلم ، وتحدث ، فانت خير من رأيت ، وافضل من

سمعت ؛ وابقاه في الجامع : يقرىء ؛ ويفقه ، ويحدث ويعلم . وكان هذا الغلام الحسن البصري - رضي الله تعالى عنه - .

كلمتان ، لطيفتان ، خفيفتان ، مسجعتان ، بلا كلفة ولا صنعة ، لخصتا الدين ، في اقامته وفي نسفه ؛

هذه النوعية من الأئمة والعلماء الذين كان الخليفة الإمام الراشد يتحراهم في جولته ليسند اليهم توعية الامة وتبصيرها في دينها ، ويعهد اليهم بالقيام على بيوت الله ...

وهكذا اعطى الصورة النموذجية التي ينبغي ان تتوخى في ائمة المساجد كلما اريد الخير للمسلمين وكلما اريدت التوعية الاسلامية المثمرة البناءة البعيدة عن الشكلية والمظاهر التي لا وزن لها .

واثمرت هذه الجولة اللافتة المباركة الطيبة أيما إثمار وشاءت الاقدار ان تطبق أحسن تطبيق عبر القرون فقام بمساجد العواصم الاسلامية أئمة اعلام حفظ التاريخ اسماءهم في سجلات الخلود ؛ سفيان بن عيينة بمسجد مكة ، ومالك بن انس في مسجد المدينة ، والحسن البصري في مسجد البصرة - كما ابقاه فيه امير المؤمنين - وابو حنيفة في مسجد الكوفة ، والاوزاعي في مسجد بني امية ، والشافعي في مسجد عمرو في مصر ، واسحاق في مسجد نيسابور واحمد وابن جرير واخرون في مساجد بغداد ...

وبالجملة فقد كانت الإمامة في الدين والعلم والصلاة نابعة من المساجد وكانت الحركة الدينية الواسعة النطاق في سائر الاقطار الاسلامية وليدة اصلاح المساجد وعمارتها باهل العلم ، ورواد الفكر والفقه ...

فاذا أضيف إلى ذلك أن الخلفاء الاسلاميين ، وفي عصر العباسيين على التخصيص ، كانوا يخصون العلماء بولائهم ، ويقربونهم إليهم ، ويؤثرونهم بعطائهم ، ويقيمونهم على تربية أولادهم ، وربما شاركوهم في بعض الجدل العلمي ، واستنهضوهم للنقاش الحاد ،- علمت أية حركة وازدهار ارتقت إليها المساجد ، في أيام الخلفاء وفي عصور الخلافة ، وأن عناية الحكام بالمساجد وبالقائمين عليها من أهل العلم ، ورثة الاسلام والشريعة والثقافة الدينية ، ثروة لا تناغى ، وعزة لا تغالب . وذلك هو الشأن في كل ما يتجه إليه الحكام ، لأنهم أقدر الناس على ترغيب الناس فيما يحبون ، والناس أسرع ما يكونون استجابة إلى تحقيق أغراضهم ، ولا سيما الصالحة .

على أن أهل العلم كانوا يرون - علاوة على ذلك - أن ميدانهم الطبيعي هو المساجد ؛ وهذا هو الوضع الصحيح الذي يتفق مع المقصد الأسمى الذي استهدفه النبي - عليه الصلاة والسلام - حين بنى مسجده الأعظم في دار هجرته .

فقد حذا حذوه في ملازمة المسجد ، لنشر الدعوة والعلم ،- العلماء العاملون ، واتخذوه مستقرا لهم ومقاما ، يتعهدون به الناس ، ويزقون طلاب العلم ، من غبش

الفجر ، إلى غسق الليل :

هذا - على سبيل المثال - محمد بن عبدالله بن مالك الأندلسي ، العالم النحوي القارىء المشهور ، صاحب الألفية ، التي ذاعت في الشرق والغرب ، واستظهرها العلماء والطلاب في الماضي والحاضر ؛ كان من علماء القرن السابع الهجري ، نشأ في الأندلس ، الفردوس الذي فقده المسلمون وأخرجهم منه اختلافهم واتخاذهم الكفار أعوانا على المؤمنين ، ونزل في دمشق ، فكان في مسجدها الإمام والمعلم ، فدرّس القراءات ، وروى الحديث ، وكان من المتحمسين للاستشهاد به في النحو ، الذي رسخت قدمه فيه ، إلى درجة أنه كان يقول في صاحب المفصل (وهو الزمخشري) : إنه نحوي صغير ..

فتحدث الرواة عن مبلغ صلة الإمام الشيخ ابن مالك بالجامع الأموي ، ونشره فيه العلم ، فذكروا أنه كان أول من يدخل المسجد ، في الثلث الأخير ، فيتعبد ويتنسك ، ما شاء الله له أن يفعل ، فاذا صلى الفجر ، التفت إلى حلقاته في المسجد ، من طلاب العلم : فمن حلقة القراءات ، إلى حلقة الحديث ، إلى حلقة اللغة ، إلى حلقة العربية في النحو والصرف .. حتى ترتفع الشمس ، وتكون الضحوة الكبرى .

وينصرف الطلاب من الشيخ ، طلبا للرزق والسعي على العيال ، فينهض الشيخ فيصلي الضحى ؛ فاذا أتمها انطلق إلى باب الجامع الأموي الكبير ، فوقف عنده ، ونادى في المشاة وأهل السوق : أيها المسلمون ! ألا من طالب علم فأعلمه ، ألا من طالب قرآن وتفسير ، ألا من طالب للغة ، ألا من طالب للنحو ، ألا من طالب للصرف ، ألا .. ألا .. فان أتاه أحد ، عاد إلى المسجد ، فجلس إليه ، وعَلَّمَهُ ؛ وإن لم يسأله أحد ، انطلق إلى شئونه ، وهو يقول : الآن أبرأت نفسي من إثم كتمان العلم .

هذه صورة توضح مبلغ صلة أهل العلم بالمساجد ، وعمارتها بالذكر ، والدعوة والارشاد والتعليم .

وأذكر أن المساجد الكبرى في بلاد الشام ، حتى هذه الأيام ، ما تخلو من التدريس للعامة والخاصة ، عقب كل فريضة ، في الليل والنهار ، وأن هذه المساجد لا تغلق في النهار أبدا ، وأنه قَلَّ أن تجد مسجدا لا تنعقد فيه حلقات العلم ، بعد صلاة الفجر .

وكان يغلب على المساجد أن يقصدها الشيوخ والشيب والكهول ، فأصبح الذين يرتادونها جلهم من الشباب والحدثان ؛ وأصبح هؤلاء وأولئك يجدون في المساجد الهدوء المنشود ، والراحة من صخب الحياة ، وطغيان المادة ، فيتلون القرآن ، ويقرؤون في الكتب العلمية ، ويجدون من يعلمهم ما عسر عليهم فهمه من الدروس ، ويجدد لهم النشاط ، ويحبب إليهم العلم .

وانتشرت هذه الطريقة الحميدة - بحمد الله - في كثير من أقطار البلاد العربية والاسلامية ؛ وأصبحت المساجد كمدارس شعبية للتعليم والتربية

الدينية . بل أصبحت كالمنتدى للقاء الفكر ، وبث الدعوة ، وغرس العقيدة السليمة في نفوس النشء ؛ كما أصبحت ـ بحمد الله أيضا ـ مثابة لعلاج الشاردين من الصغار ، واللاعبين والعابثين ، واستصلاح للمفتونين بالحضارة الغربية ، والمأخوذين بسرابها الخادع .

حدثني صديق لي ، أنه تعب من تأديب ولده الوحيد ، وحمله على سواء السبيل ، واستيعاب دروسه ، وكاد يستيئس من إصلاحه ، فأشار عليه جاره ـ وكان من المصلين في الجامع ـ أن يصحبه إلى المسجد ، ويسلكه في حلقة من حلقاتها ، ففعل ، وهو غير متفائل ؛ وإذا بالولد ـ بعد فترة لم تطل ـ يسابق زملاءه إلى المسجد ، ويسبق الجار إليه ، وينافس المتفوقين من زملائه في المدرسة ، ويتنفس الوالد الصعداء ، ويرسلها حمدا لله كثيرا ، على هذه النعمة العظيمة التي أسداها إليه المسجد في شخص ولده وامتداد أمله فقلبه له رأسا على عقب واصبح فتى سويا ، كأحسن ما يصنع الفتيان ، على أعين المعلمين .

اتجهت النفوس الصالحة ، في العشرات السنين الأخيرة ، إلى العناية بالمساجد ، تشييدا واستكمالا لحاجة النشء فيها إلى ما يصلح الفكر والقلب ، ويرهف الحس والذوق والفن ، ويملأ الفراغ ، ويستوعب مجالات النشاط ..

أعرف مسجدا في مصر ، بني حديثا ، فيه قاعة محاضرات ، ومكتبة للمطالعة ، وصالة لبعض الرياضات البدنية الخفيفة ، وفيه مستوصف للعلاج المجاني ، ومعمل لصنع السجاد ، وفرع لتعليم الأميين ، وركن للأشرطة والاعلام الديني ... كأنه موسوعة علمية عملية عجيبة ..

ولئن سبقت مصر في هذا ، وغيره ، فقد سبق إلى تكميل المساجد ، آباؤنا الأولون ، الذين استفادوا من حديث استباق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعائشة ـ رضي الله عنها ـ في المسجد ، على ما رواه الامام أحمد ؛ فألحقوا ببعض المساجد ملاعب للرياضة ، والفروسية والرمي ..

والذين كتبوا في الحروب الصليبية من خلائف الصليبيين ، يقصون علينا هذه القصة المعبرة ، ويصفون البيئة التي كان فيها المسجد ، والحريم المتخذ حوله ؛ فقالوا :

● على مقربة من طرطوس ، على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، وفي رملة ميناء ، بعيدة الأرجاء ، تنتهي في الساحل ، وتتصل بسفح الجبل الشامخ ، أقيمت حدود ميدان للرماية ، في زاويته مسجد متواضع ، فيه بضعة عشر فتى ، فقط ، يقوم على تعليمهم القرآن شيخ معمم وقور ، طويل اللحية ، حديد البصر ، مجعد الجبين ، تعلو بشرته البيضاء حمرة وشقرة ، تضيفان إلى شيبته نورا وإشراقا .

وفي الضحوة الكبرى ، هرع الشيخ وفتيانه إلى ميدان الرماية ؛ وكان إلى وقار الشيخوخة يتمتع بتحرك الشباب ، ونشاط الرياضة ، وخفة الجسم ، والصبر على تعليم الصغار ، وتدريبهم على الرماية .

● مر صليبي ، وهو يسير متنقلا في هذه الأرض ، التي تَرَحَّلَ عنها قومه ،

دارسا معتبرا ؛ فوقعت عينه على الشيخ وفتيته ، واستوقفه هذا المشهد الغريب : شيخ في السبعينيات من العمر ، وصغار لما يراهقوا بعد ، منهمكون في النُبُل والدريئة ، والإصابة والانحراف : هذا أصاب الهدف ، مرحى له ؛ وهذا أخطأ فلينتبه ، وذاك يستعد لتسديد سهامه ؛ وهذا مقارب ، وذاك خطؤه فاحش . وهذا عريف الفتية القائد ، الله أكبر ما أبرعه وما أروع إصاباته ..

● عجب الصليبي من هذا المشهد ، وأكبره ، وأنكره في ذات نفسه .

وتابع رياضة النبالة ، فرأى على البعد تلميذا صغيرا ، يجره تلميذ ، ويدفعه آخر . ومازالا به حتى قدما به على الشيخ ، الذي ما إن رآه حتى انهال به ، يضربه ضربا غير رفيق ولا رحيم ، بعصا من الخيزران ، كان أعدها لتأديب العصاة ؛ لكن الشيخ قسا على الصغير ، واشتد في قسوته ؛ فاندفع الصليبي بغير شعور منه للتدخل في الأمر ، فاقترب من الشيخ ، وأمسك بيده وبعصاه ، وكفه عن ضرب الفتى . فلما سكت عن الشيخ الغضب ، وألقى عصاه ، أقبل عليه يسأله - برطانته الأعجمية - عن ذنب الغلام ، وعما فعل ، حتى أنزل به كل هذا العذاب والنكال ؟

فقال الشيخ ، وهو يتوعد ويهدد ويزمجر : « إنه فَرَّ من درس الرماية » .

فأطرق الصليبي برأسه ، وهو يقول في نفسه ، ولا يكاد يبين : « بهذا غلبونا » .

كذلك كانت التربية والترويض : القرآن مع الرياضة المبكرة المفيدة ، والعلم مع الرمي ؛ وبذلك غلبناهم ، وطهرنا منهم الساحل ، قبل قرون .

فهل تضاف إلى مساجدنا أندية رياضية ، تستهوى اللاعبين ، فتشبع رغبتهم في اللعب ، وتخفف من شغفهم العارم بالكرة ، بأنواع مفيدة من الرياضة البدنية ، والسباحة والرمي ، ويجد الناشئة في المساجد : نور اليقين ، ورسوخ العقيدة ، وإقامة الأركان ، وقراءة القرآن ، وعلوم الدين ، ورياضة الأبدان ، وفنون القول والعمل الصالح ، واللعب المثمر .

إن ممارسة لعب الكرة ، إن أفاد الجسم قوة وخفة ، لا يفيد في مجالات القوة التي أمر القرآن باعدادها للكفار . وإنه سراب لا يغني - مع تكاليفه الباهظة - من الحق شيئا . وإن الحق السليب ، في الساحل والداخل ، لا يسترد باللعب ، وإنما يسترد بالقوة ، وما القوة إلا الرمي ، بتفسير سيد الوجود - صلى الله عليه وسلم - بقوله : « ألا إن القوة هى الرمي ، ألا إن القوة هى الرمي ، ألا إن القوة هى الرمي » .

إذا استطعنا تحويل المساجد ، إلى مراكز إسلامية ، بكل ما في المركز من تكامل يستقطب النشء ، على النحو الذي قدمنا ، أمكن أن تؤدي المساجد رسالتها الدينية ، على وجه يناسب روح العصر .

وإنما يصلح هذه المساجد على هذا التخطيط ، اثنان : الحاكم والعالم . فالله يأخذ بأيديهما إلى هذا الاصلاح المنشود .



يخشى المتأوربون وأصحاب الثقافة الغربية في كثير من البلاد العربية والاسلامية من الشروع في تطبيق حكم الله كبديل للقوانين الوضعية المستوردة الجاري العمل بها في بلدانهم ..

وهذا ما لا أعرف له تفسيرا يا شيخنا عارف ، لماذا يخشى هؤلاء المسلمون من تطبيق شريعتهم الاسلامية التي يؤمنون بها ؟ ..

فقال الشيخ عارف :

للدكتور / حسن الشرقاوي

- لايمكن أن يسمى هؤلاء «مؤمنون» انما هم مسلمون اسما فحسب ...

- ألا يعلمون أن الاسلام حق وأن تطبيق شريعة الله غاية كل مسلم ؟ ..

- هناك فرق بين العلم والعمل والاعتقاد والايمان ...

- ما هو الفرق في رأيك ؟ ..

- كثيرا ما تسأل عن الباطل والحق

والحكمة والهوى فتجد أكثر الناس يـدافعـون عن الحق والحكمـة ، وينكرون الباطل والهوى لكن ذلك يتم فحسب بالقول ..

ـ ماذا تقصد « بالقول » يا شيخ عارف ؟ ..

ـ أقصد باللسان اما العمل بما تلوك به الألسنة فشيء مستبعد ..

ـ معنى ذلك انهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ...

ـ بالتأكيد يا صاحبي ... وهذا هو الشرك الخفي أو الرياء الذي قال فيه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم : « أخـوف ما أخـاف عـلى أمتي » ...

ـ لكن أليس المعتقد في شريعة الله يدافع عنها ؟ ..

ـ الاعتقاد في الدين وسيلته العقل والعقل قاصر عن فهم كنه الدين ...

ـ آلا يكفي الاعتقاد إذن في شريعة الله ؟ ..

ـ لو كنت تعتقد في شيء وتعلم أنه حق وتدافع عنـه ، الا انه حضر اليـك شخص وقدّم لك أدلة وبراهين على فسـاد ذلـك الشيء ... ألا يهتـز اعتقادك ؟ ألا يفتر حماسك في الدفاع عنه ؟ ألا يبلبل أفكـارك بالنسبـة له ؟ ..

ـ هذا مؤكد ..

ـ لكن لو كان اعتقادك في الدين مقترنا بالايمان به ، أكان من السهل على هذا الشخص أن يبلبل أفكارك ويبعدك عن هدى الدين ...

ـ لايستطيع أحد أن يخرج مؤمنا عن إيمانه ...

ـ لأن الاعتقاد في الدين وسيلته العقل وأما الإيمان به فوسيلته القلب ...

ـ ألا يهم الاعتقاد في شريعة الله إذن ؟ ..

ـ لم أقصد ذلك وانما أقصد أن أقول لك ان الاعتقاد غير كاف وحده في أمور الدين ، فيجب أن يقترن بالايمان والا كان صاحبه على حافة الهاوية ..

ـ وهل الذين يخافون من تطبيق شـريعـة اللـه من المتـأوربـين وأصحاب الثقافة الغربية هم الذين تقصدهم في كلامك ؟ ..

ـ أنا أريد أن أقول يا صاحبي إن الذي يخاف من تطبيق التشـريع الاسلامي انسان غير مؤمن أو على الاقل ضعيف الايمان ...

ـ لماذا يا شيخنا عارف ؟ ..

ـ لأن الذي يؤمن بدينه لايخاف من العمل به ... أما الذي يؤمن ببعضه ولا يؤمن ببعضه فهو لا يعد من المؤمنين ...

ـ كأن الخوف ثمرة عدم الايمان ...

ـ ربما يرجع الخوف الى الجهل أو عدم معرفة حقائق الدين أو التأثر بـالثقافـة الغربيـة أو المـذاهب الالحادية أو الانبهار بالحضارة الأوربية المادية ... كل هذه عوامل يمكن أن يكون لها التأثير السيىء على إيمان المسلم ...

ـ من ماذا يخاف هؤلاء ؟ ...

ـ ربما يرجع الخوف من اقامة حدود الله ... مثل رجم الزاني والزانيـة المحصنين ، وقطع يد السارق مع عدم حاجته الى الطعام ، أو جلد القاذف بالزنا وكذلك شارب الخمر ...

- ألا يعلم هؤلاء أن تطبيق الحدود يتم لا بالشبهة كما في القوانين الوضعية ، وإنما باليقين ...

- إنه خوف لا مبرر له ولو تفقهوا في الدين ما خافوا أبدا ...

- ان اقامة الحد على الزاني والزانية صلاح وإصلاح للفرد والاسرة والمجتمع ..

- هذا صحيح يا صاحبي .. فالتشريع الاسلامي يفرق بين المحصن وغير المحصن ، كما يطبق هذه القاعدة في أضيق الحدود وذلك باشتراط أربعة شهود عدول ، فاذا علمت ان هذه الجريمة تتم خفية عن عيون الناس ظهر لك أن الزاني الذي يقدم على فعلته النكراء علانية قد وصلت به الجرأة الى إعلان فسقه وإشهار عهره دون أن يخشى أحدا ومن ثم فواجب الجماعة أن تقيم عليه الحد لتمنع الفساد في الاسرة والجماعة ...

- وما رأيك في اقامة حد السرقة ؟ ..

- الأمر كذلك يا صاحبي فيما يتعلق بالسرقة . فالمفروض أن يضمن المجتمع للفرد حياة طيبة . وعلى الفرد عند ذلك أن يحترم مال الغير فاذا ما تعدى عليه وجب إقامة الحد حتى لا ينتشر الفساد والإفساد ..

- أرى انك جعلت تطبيق القصاص أمرا واجبا ، بدونه ينتشر الفساد والافساد .

- ان شريعة الله فطرية تواكب العقل الرشيد والنفس المستقيمة والقلب السليم ...

- ولماذا يرفض هؤلاء تطبيق الشريعة وهي بهذه الصورة المشرقة ؟ ..

- لأن القوانين الوضعية بها ثغرات ممكن أن ينفذ من خلالها أصحاب الأهواء والشهوات .. وبذلك يتمكنون من تحقيق شهواتهم وإرضاء نزوعاتهم وتلبية مطالبهم غير المشروعة ..

- ألهذا يرفضون تطبيق التشريع الاسلامي ؟ ..

- بكل تأكيد ... فالانسان عبد عوائده ... فاذا أردت أن تغير عاداته المرذولة وأخلاقه المذمومة وسلوكه الشائن ... رفض قبول ذلك وطعن فيما تأمر به من مكارم الاخلاق والحق والرشاد ...

- وكيف يمكن تطبيق التشريع الاسلامي على البلدان التي تدين بالاسلام ؟ ..

- لابد من وعي ديني جديد ... لابد من الدعوة الى الله في صورة واضحة قوية دون تنفير أو تخويف ... لابد من الدعوة الى الله بالحب والتسامح والإخاء كما علّمنا رسول الله ﷺ ...

- وكيف يتسنى ادخال الايمان الى القلوب ؟ ..

- ان ذلك أمر جد عسير ... لكن الله تعالى أمرنا بالدعوة لدينه دون اكراه ، وما دام الداعون الى الله يقومون برسالتهم فان الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ...

- أيمكن أن يرجع المتأوربون الى حظيرة الايمان ؟ ..

- لا حد لقدرة الله فالله على كل شيء قدير ...

دور التربية

لماذا التربية بغرض الايمان ؟

التربية يجب ان يكون هدفها الأول والأساسي هو غرس وزرع الايمان في نفوس طلابها ، ولعل لذلك العديد من الاعتبارات والأسباب الرئيسية التي تؤكد ضرورة تبني التربية لمبدأ الايمان .

وأول هذه الاعتبارات هو الحاجة الأصيلة في النفس الانسانية الى العقيدة الدينية واعتبار أن الايمان لازم وضروري وهام في حياة الانسان ومصدر للقوة والاطمئنان مما تؤكده دراسات نفسية وفلسفية ودراسات في تاريخ الحضارات وتطورها .

والاعتبار الثاني ما تشكو منه الحضارة المعاصرة التي نعيشها من المساوىء والعيوب الناتجة عن ضعف التمسك بالقيم الانسانية وبفضائل الأخلاق

ومن بعض التبذل والتحلل والانغماس في الشهوات مما يصدر في أغلب الأحوال من ضعف العقيدة الدينية ونقص النوازع الى الايمان .

في غرس الايمان

للدكتور
علي محمود رسلان

والاعتبار الثالث ما يشكو منه المجتمع العربي المعاصر من بعض مظاهر الضعف الأخلاقي وبعض مظاهر الضعف في الروح المعنوية مما قد ينسب بعضه الى التهاون في أمور الدين والتقصير في القيام بما يحض عليه من التعاون والمحبة والاخاء والتماسك الاجتماعي ومن مكارم الأخلاق .

والاعتبار الرابع حاجة الشباب في هذا العالم وبخاصة في الوطن العربي الى قيم واضحة تجنبهم الحيرة الفكرية وتكون لهم سندا في تبين صور المستقبل بين المذاهب والدعوات المختلفة والتيارات المتعددة التي يموج بها العالم في الوقت الحاضر .

ونضيف الى الاعتبارات السابقة التي تؤكد ضرورة بل وجوب تبني التربية لغرض وهدف الايمان ، انه مع تألق نجم العلوم والتكنولوجيا اصطبغ الجو العالمي بالمادية والوجودية ، والابتعاد عن الجوانب الروحية والقيم السامية ، وأصبح العالم مهيأً لانتشار فلسفات وعقائد مادية وأضحى العالم تهب عليه الرياح اللادينية بكل قسوة ، وهذه العقائد الغريبة المادية أثرت بشكل مباشر وقوى في فكر الانسان وفي علاقاته باخوته من بني البشر . ووسط هذا الجو كله بات لزاما على من يدينون بالأديان السماوية وفي مقدمتهم وفي طليعتهم المسلمون أن يخوضوا المعارك الفكرية المعاصرة لكي يثبتوا أن هذه الأديان قادرة على مواجهة الحياة ومتطلباتها

المتطورة وعلى اسعاد بني الانسان في كل زمان ومكان . عليهم أن يقوموا بدورهم في التمسك بالدين الاسلامي الحنيف قولا وعملا . إن دور أبناء المجتمعات العربية بخاصة والمجتمعات الاسلامية بعامة لا ينبغي أن يتوقف عند هذا الحد ، بل يجب أن ينشط ويمتد حتى يتضمن دخولهم هذا السباق العلمي التكنولوجي وأن يرتادوه على قدم المساواة مع أبناء المجتمعات المتقدمة تكنولوجيا ، وينبغي ألا يقتصر دور المسلمين كذلك على استهلاك ما تنتجه وما تقدمه تلك المجتمعات المتقدمة من ثمار العلم والتكنولوجيا ، بل يجب أن يشاركوا مشاركة فعالة في هذا الانتاج . يجب على رجال الاسلام ألا يتخلفوا عن ركب الحضارة والعلم . والعبرة هنا ليست في قدرة المواطن المسلم على استهلاك إنتاج العلم والتكنولوجيا الحديثة ، ولكن في قدرته على انتاج ما يحتاج اليه من ثمار هذا العلم وهذه التكنولوجيا .

وإلى جانب كل الاعتبارات السابقة التي تدعم دور التربية في غرس وزرع الايمان في نفوس أبنائها وطلابها ما نراه ونلمسه من تزايد أطماع الصهيونية في المنطقة العربية ، فمنذ أنشئت دولة اسرائيل في عام ١٩٤٨ وخلال الثلاثين عاما التي تلت سنة الانشاء تكشفت النوايا الحقيقية والأطماع الدفينة والأحقاد القديمة ، واستطاعت تلك الدولة اليهودية الصهيونية أن تستعدي دول الغرب وحكوماته وشعوبه ضد المسلمين من العرب ، واستثارت فيهم المخاوف القديمة من الحضارة العربية الاسلامية التي ازدهرت طوال قرون عديدة في العصور الوسطى ، وأضاءت العالم كله بنورها وبمرور السنين تطور الصراع العربي الاسرائيلي إلى أن أصبح صراعا بين حضارتين ، حضارة الغرب القائمة على المادية والتكنولوجيا المتقدمة والتي تتخذ من دولة اسرائيل ـ ومعناها العبري الكفاح والنضال ـ أداة وحليفة لها وحضارة الاسلام العربية بتراثها العريق وأمجادها التليدة القديمة وقيمها الروحية السامية وبحاضرها المؤسف المليء بالتغيرات والهزات والتقلبات والصراعات والتخلف عن ملاحقة عجلة التقدم العلمي والتطور التكنولوجي بسبب الابتعاد عن تعاليم وتوجيهات الاسلام .

وأمام كل هذا أصبح واضحا أنه امام المجتمع الاسلامي واجب مقدس هو الذود عن كيانه العقائدي والصمود أمام التحدي الحضاري السافر الذي أفصح عنه تزايد الأطماع اليهودية الصهيونية في المنطقة العربية وانتهاك وحرق المقدسات الاسلامية وفي مقدمتها المسجد الأقصى ومقام ابراهيم الخليل . هذا التحدي الاسرائيلي لن توقفه الانتصارات الحربية العسكرية وحدها ، بل يتعين على كافة قوى المجتمع الاسلامي ومؤسساته وهيئاته وتنظيماته أن تعد كل ما تستطيع من قوة وان تتوحد وان تحشد كل طاقاتها المادية والروحية والبشرية وتضاعف جهودها من أجل معركة أطول وأشرس وأعمق هى مرحلة البناء والتقدم . ودور التربية والتعليم وكافة المؤسسات التربوية في هذا المجال دور عظيم الشأن . إن

عليها واجب تطوير المجتمع الاسلامي وتعبئته روحيا بحيث يصبح قادرا على مواجهة تحديات العصر والانتصار في المعارك الفكرية والحضارية ضد عدو صهيوني يتسم بالغدر والخيانة .

ماذا نستمد من تعاليم الاسلام ؟

بعد أن تأكد لنا ضرورة ان تتخذ التربية من الدين هدفا وطريقا وسبيلا للنجاة والسلامة والتطور لمجتمعنا في حالته الراهنة وفي عصره الحاضر . بعد هذا يأتي التساؤل : ماذا نستفيد من تعاليم الاسلام ؟ ولعل الاجابة على ذلك تستغرق كتباً ومؤلفات ولكننا في اختصار نلخص ما نريد في العديد من النقاط التالية :

أول هذه النقاط **أمر الاسلام بالقراءة** ، اقرأ هى أول كلمة نزلت من السماء على الرسول الكريم ، فالقراءة هى باب المعرفة قال الله تعالى في كتابه الكريم : بسم الله الرحمن الرحيم (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق الآيات / ١ - ٥ . ولقد جعل الله من الكون كتابا للمعرفة ووجه القلوب والعقول والأبصار الى بدائع صنع الله فيه . ودعا الى التفكير في آياته واستكشاف أسراره وفهم نظمه ونواميسه وحرر العقول من أسر الجهل والجمود ودفع وشجع على البحث والدراسة وعلى العلم . والأحاديث النبوية الشريف لا تعد ولا تحصى في ميدان الحث على العلم والتعليم فـ « العلماء ورثة الأنبياء » رواه أبو داود والترمذي « ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة » رواه مسلم وغيره « ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » رواه البخاري ومسلم .

والعلم في الاسلام لا يقتصر على علم الدين وحده رغم شرفه ووجوبه على كل مسلم وانما هو يتعداه الى علوم الدنيا لأن المسلم بهذه العلوم الدنيوية يستطيع أن يقوم برسالته الحضارية .

ثاني هذه النقاط أن **رسالة الانسان في الاسلام رسالة تعمير وبناء** ، رسالة حضارية ، فالانسان بما حباه الله من عقل يكون قادرا ومستطيعا على أن يكون بحق خليفة الله في الأرض ويعمل وفق تعاليمه وأوامره ويجتنب نواهيه ويبتعد عن معاصيه يقول الله تعالى : (**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**) الملك / ١٥ . ويقول في كتابه الكريم : (**وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**) النحل / ١٤ . ويقول سبحانه وتعالى : (**وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون**) المائدة / ٨٨ . رسالة الانسان هى العمل والنشاط ، والبناء والتعمير ، وهى رسالة تقدم وتطور .

النقطة الثالثة **التطبيق والتنفيذ العملي والفعلي** فلقد كانت التربية من

الأهداف الأولى التي سعى اليها الاسلام للتغيير الهائل الذي أحدثه في نفوس العرب . وكانت أولى المؤسسات التربوية التي ظهرت في الاسلام هى دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة المكرمة التي فتحت أبوابها سرا في أيام الاسلام الأولى لمن آمنوا بالرسالة والرسول وسط إرهاب وعنت زعماء مكة وكفارها . وعندما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة ، تم فتح ثاني مدرسة في الاسلام وهى المسجد ، ثم ظهرت الكتاتيب في العصر الأموي ثم المدارس والجامعات في العصر العباسي .

النقطة الرابعة : **الرسول هو الرائد والمعلم الأول** فقد كانت محتويات المناهج أو المقررات الدراسية بلغة اليوم ـ في دار الأرقم وفي مسجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كلها دينية فكان الرسول يتلو آيات القرآن التي ينزل بها الوحي ويشرحها ويفسرها ، وكذلك أحاديث الرسول يقولها في الظروف والمناسبات المختلفة .

وكانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة والعامة تجسيدا حيا لما يعلمه من آيات القرآن ، ولما يقوله من أحاديث نبوية شريفة ، ومن هنا كان ربط العلم بالعمل فكرة اسلامية أصيلة التزم بها الرسول في تربيته للصحابة ، والتزم بها الصحابة من بعده في تربيتهم لتلاميذهم قبل أن يقول بها علماء الغرب أو الشرق باكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان .

النقطة الخامسة المستمدة من تعاليم الاسلام هى **قيام الفرد بتعليم إخوانه وزملائه** ، فقد كان الرسول يكلف المتعلمين من الصحابة بتعليم اخوانهم تعليما يتناول تفقيههم في الدين وتعليمهم القراءة والكتابة أحيانا ، وان الرسول الكريم كان يختار من بين هؤلاء المتعلمين من الصحابة الشخص الذي ينوب عنه للاتصال بالقبائل العربية المقبلة والداخلة في الاسلام ليتولى هؤلاء بحكم ما لديهم من ايضاح لمبادىء الدين الاسلامي الحنيف وعباداته ومعاملاته .

النقطة السادسة أو التوجيه الاسلامي السادس هو **تعليم الكبار** ، ونعطي هنا مثالين فقط : كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مدرسة لتعليم الكبار ينشئها رسول الله ، هذا هو المثال الأول .

المثال الثاني : من المعروف أن أسرى بدر أتيح لهم الفداء بأن يقوم كل واحد من المتعلمين منهم بتعليم عشرة من المسلمين . ولننظر الى مجتمع المدينة المنورة بعد الاسلام فاذا هو المجتمع المتعلم ، وكان كتاب الله القرآن الكريم هو الكتاب الأول والنبي هو المعلم الاكبر والأعظم لهذا المجتمع والمسجد هو مؤسسة دينية تربوية وخير دعاء للنبي : وقل ربي زدني علما .

كيف يمكن تحقيق مبدأ التربية للايمان ؟

ويمكن صياغة هذا السؤال في صور عديدة أخرى مثال كيف يكون المسلم الحق صاحب رسالة ؟ وكيف تعود أرض العرب كما كانت أرض حضارة ؟ وكيف

يكون ذلك الانسان المسلم قادرا على أن يقود العالم الى العدل والخير والحق والحرية والسلام التي افتقدها في ظل الحضارة الغربية الحديثة التي أقامت نفسها على المادة وابتعدت عن الروح وعن القيم فأوشكت أن تحطم نفسها لتترك فراغا كبيرا نأمل أن يكون الانسان المسلم هو القادر على ملء هذا الفراغ ؟

إن التربية يجب أن تستمد أصولها وجذورها من الاسلام بما فيه من قيم خلقية روحية باقية على مدى الدهر . والدين الاسلامي ليس مجرد عقيدة تترجم إلى سلوك يغير من نظرة الانسان نحو نفسه ونحو اخوانه ونحو مجتمعه فالاسلام دين علم وأخلاق وعمل . والتربية بمفهومها الحديث ليست قاصرة على المسجد أو المدرسة فهى تتم في كل مكان بالمجتمع ، وهناك ثلاثة أشكال للتربية :

١ ـ **التربية النظامية** : وهى التي تتم داخل المؤسسات التعليمية المخصصة لذلك كالمدارس والمعاهد والجامعات .

٢ ـ **التربية غير النظامية** : وهى كل ما يكتسبه الفرد بشكل غير منظم من مواقف وقيم ومهارات ومعارف تأتيه من خبراته وتجاربه الحياتية اليومية من محيطه الذي يعيش فيه ومن مهنته التي يعمل بها ومن الراديو والتليفزيون وغيرها .

٣ ـ **التربية شبه النظامية** : وهى شكل من أشكال النشاط التربوي مثل النوادي والجمعيات والمؤسسات العامة والروابط وغيرها .

والتربية على كافة الأشكال والأنواع السابقة يجب أن تستمد أسسها وأصولها ومبادئها من الاسلام لأنه في جوهره نظام تربوي متكامل جاء منهجه شاملا يتناول الكائن البشري كله فكرا وسلوكا .. جسما وعقلا وروحا . ومن الضروري التأكيد على أهمية الالتزام المستمر الدائم بالمبادىء الأخلاقية الاسلامية وذلك أن الاسلام ـ كما تناولت الأبحاث والدراسات العديدة ـ يبني الفرد ويكون فيه روح الخير في سلوكه وفي سعيه بين الجماعة ويكون روح الأخوة الانسانية ويكون الوعي بوحدة الحياة الاجتماعية ، والاسلام يوازن بين عاملي الدفع والجذب ، وبين الترغيب والترهيب فيما يتصل بالالتزام الخلقي حتى يكون نابعا من داخل الفرد وليس مفروضا عليه من الخارج .. وهنا تتحقق الغاية الأسمى للتربية الاسلامية وهى بلوغ الكمال الانساني .

واذا كانت التربية الاسلامية عملية خلقية ، فالمدرسة يجب أن تكون قوة وطاقة خلقية في المجتمع ، وأثرها ينتشر ويعم عددا أكبر من المنتظمين فيها ، وعلى المعلم أن يكون نموذجا وقدوة وأن يختبر طلابه لكي يعرف الى أي حد يدركون معنى القيم الأخلاقية . فنحن بحاجة الى ايمان أصيل لا مجرد ايمان اسمي ، أي ايمان ذي تطبيق فعال .

والأخلاق لا يتعلمها الطالب فقط في قصة أو خلال درس في حصة ، بل يتلقاها في عمل يقوم به سواء في حجرة الدراسة أو الملعب أو المكتبة وجميع النشاطات داخل المدرسة في ظل التعاون والعمل المشترك وأن يعرف الطالب حقوق غيره وواجباته كما أنه يقوم بمحاكاة معلم مهذب قائد مرب .

كيف نغرس الايمان في نفوس أبنائنا ؟ وكيف نعمل على تحقيق مبدأ التربية للايمان ؟ الاجابة تكون ان المدرسة هى مؤسسة تعليمية للجميع مهمتها إعطاء المثل الأعلى للأخلاق وتوجيه سلوك التلاميذ وتحديد ما يقبله الدين وما يرفضه أي باختصار تربية التلاميذ في ضوء القيم الدينية السامية ، تربيتهم على الايمان .. فهو الطاقة الخلقية الخلاقة المبدعة : الايمان بالله خالق الكون ، الايمان البعيد عن الحقد والحسد والضغينة والكراهية ، الايمان الذي لابد أن يمارس عمليا حتى نقدم للعالم نموذجا جديدا للحياة الفضلى فالعالم اليوم يعيش الفراغ الروحي . ولكي نضع مبدأ التربية للايمان الموضع الأساسي والرئيسي في جوهر التربية ومحتواها وأسلوبها علينا بالتالي :

١ ـ أن تعتنى التربية بترسيخ الايمان بالله في نفوس المتعلمين وبالاسلام خاتم رسالات السماء واعتبار الدين من أخص ما يتميز به الانسان .

٢ ـ عناية التربية بما أقره الدين من مكانة الانسان في الوجود وفي المجتمع ، ومن اعتماده على هدى عقله وهدى ضميره في سعيه المتواصل نحو الكمال .

٣ ـ عناية التربية بتحقيق التوازن في شخصية الانسان من حيث حاجات الجسم وحاجات الروح ، والفكر والعمل والحاضر والمستقبل .

٤ ـ أن تهتم التربية بما أقره الدين من القيم الأخلاقية وتنشئة المتعلمين على الفضائل وعلى المحبة والمودة والتعاون والسعي في خير المجتمع ومن أجل تماسكه وقوته وتمكينه من البناء والتعمير .

٥ ـ أن تعنى التربية بالاخاء الانساني وبالدعوة إلى التعاون بين الناس والحق والخير والصلاح .

٦ ـ تبصير المتعلم بواجباته الدينية ، وسعي الفرد الدائب من أجل خير مجتمعه ومسئوليته نحوه ، وكذلك رعاية المجتمع لأفراده واقتران الحقوق بالواجبات .

وأما عن طريقة ومنهج التعليم فانها تحتاج إلى إطناب وإسهاب ولكننا في هذه العجالة يمكن ذكرها باختصار شديد وذلك بأسلوب « الاجمال لا الاخلال » في النقاط التالية :

١ ـ ضرب الأمثال وذكر القصص المعبرة :

ولقد ذكر القرآن الكريم الكثير من القصص للعبرة المقصودة والدروس المستفادة منها : قصص الكافرين من الأمم السابقة وما حدث لهم نتيجة ظلمهم لأنفسهم .

٢ ـ التجربة الشخصية والرحلة بحثا عن الحقيقة :

ودراسة الكون : قال تعالى : **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ**

الخلق) العنكبوت / ٢٠ . وهناك الكثير من آيات القرآن الكريم التي تحث البشر على استخدام حواسهم وعقولهم لدراسة الطبيعة والاستفادة منها في المعيشة .

٣ ـ العبرة من خلال الأحداث الجارية :

قال تعالى : (**لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين**) التوبة / ٢٥ و ٢٦ .

لقد أراد الله في غزوة حنين أن يعلم المسلمين درسا عن أن كثرة العدد والعجب بها لا يؤدي بالضرورة الى النصر الذي لا يكون إلا بالله العزيز الحكيم .

٤ ـ تقديم الترغيب على الترهيب :

أي تقديم الثواب على العقاب . يقول الله تعالى : (**إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا**) البقرة / ١١٩ . ويقول الله عز وجل : (**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون**) الأنعام / ١٦٠ .

٥ ـ الأسوة الحسنة والمثل الصالح :

كان الرسول خير أسوة وأفضل قدوة . قال تعالى : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) الأحزاب / ٢١ .

٦ ـ اتفاق السلوك ظاهريا وباطنيا :

فالاسلام يبغض الرياء والنفاق ومن هنا كانت ضرورة اتفاق السلوك الظاهري مع ما يبطنه الفرد من قيم ومعتقدات واتجاهات . يقول الله تعالى : (**إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله**) البقرة / ٢٨٤ .

٧ ـ شمول النظرة الخلقية :

فلا يكفي المرء « الشخص » أن يأخذ جانبا من الجوانب الأخلاقية كأن

يسلك سلوكا خيرا حينا ثم يفعل الشر أحيانا ، بل ينبغي ان يكون ملتزما في حياته وأفعاله وأقواله بالصفات التي أسبغها الله على عباده الصالحين .

٨ ـ اتفاق الغايات والوسائل :

ومعنى ذلك أن تتلاءم الوسيلة مع الغاية التي نسعى نحن لتحقيقها وأن تكون الوسائل شريفة كالغايات فلا تأخذ التربية الاسلامية بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة . ولكن تسمو بالوسيلة سمو الغاية الخلقية .

٩ ـ وجوب مراعاة الفروق الفردية :

من المعلوم ان عقلية الصغار تختلف عن عقلية الكبار . وكذلك يختلف الأفراد حسب ظروف الزمان والمكان والصحة والمرض .. الى غير ذلك والرسول الكريم يأمرنا أن نتحدث مع الناس كل على قدر عقله .

هذه هى بعض الطرق والأساليب في منهج للتربية الاسلامية الذي يهدف إلى غرس قيم الايمان خاصة بعد أن اتضحت حاجة الانسان المعاصر إلى قيم التعاون والحرية والتضامن والمسئولية التي يسمو بها الايمان ، وإن هذه القيم الدينية تمنح الانسان اليوم وغدا كما منحته أمس مثلا أعلى يهتدى بهديه في تصرفاته اليومية ويثرى بها حياته بما ينطوى عليه من تطلعات روحية خلقية سامية .

ونحن الآن في مطلع القرن الخامس عشر الهجري وقد توافر للمسلمين بفضل الله ـ القوة المادية والثروة الاقتصادية ، عليهم بالتمسك والعمل بدينهم الاسلامي الحنيف حتى يأخذوا منه القوة الروحية ، وبهاتين القوتين الروحية والمادية سيتغير حاضر المجتمع وتتوهج شعلة الحضارة مرة ثانية وتبعث في ديار الاسلام العلوم والمعارف إلى سابق عزها ومجدها . فالاسلام دين المعرفة ودين العلم المرتبط بمسئولية الانسان والمجتمع وان مهمة التربية لهذا السبب مهمة أخلاقية ومسئوليتها سلوكية اكثر منها فنية تقنية ومن ثم كانت القيمة الشمولية عند الانسان لعلم يبدو مرتبطا بمصيره وكما له ويسيطر من داخله ومن خارجه على دلالات التغير ، فالعلاقة إذن بين المعلم والمتعلم علاقة مثالية نجد نموذجها السامي في الاسلام فقد علم الله آدم ، والنبي رسول الله كان معلما لمجتمع من الناس في مكة والمدينة .

والخلاصة أن التربية الاسلامية هى تربية انسانية أخلاقية هى تعليم وتهذيب وتأديب .. وهذا قليل من كثير وقطرة من غيث عن ضرورة ووجوب غرس الايمان والقيم الدينية في نفوس براعم الأمل ورجال الغد .

اختلاف خلق الله

آية على قدرته

للأستاذ / سعد عوض المر

لقد خلق الله تعالى أعدادا لا تحصى من شتى الأنواع ، وأنواعا لا تحصى من مختلف الأصناف ، وألوانا لا تحصى من نفس الأنواع ومن نفس الأصناف ، بل في النوع الواحد أو الصنف الواحد تختلف الأفراد ،وإن هذا بالطبع يدل على طلاقة القدرة وعظمة الخالق واتقان الصانع .

اننا في نفس الوقت الذي نسلط فيه الضوء على اختلاف خلق الله يجب أن نتذكر دوما فلا ننسى أبدا حينما نتكلم عن هذا الاختلاف بأنه هو نفسه دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى ، لأن كل مخلوق مهما اختلف عن غيره فإنه يتشابه معه في كثير : فهذا الانسان أو ذاك الحيوان ، وتلك الزواحف أو تلك الحشرات كل منها له رأس فيه عينان ومخ ، فيه أذنان وأنف فيه فم ، كل فرد منها له رقبة وصدر وبطن وعمود فقري وأطراف ، كل منها يكسوه الجلد ، كل منها يتحرك ويتنفس ويأكل ويتخلص مما يزيد عن حاجته ، كل منها يتناسل ، كل منها فيه اية تنطق وتشهد بأن الذي أوجده وميزه عن غيره وأعطاه هويته هو الله الواحد الأحد .

الله يأمرنا أن ننظر ونتفكر في اياته واختلاف خلقه :
يقول الله تعالى(**قل انظروا ماذا في السموات والأرض**) يونس/ ١٠١
ويقول أيضا (**أولم ينظروا**) الأعراف/ ١٨٥(**أفلم ينظروا**) ق/٦ .
ان في القران الكريم آيات كثيرة تحثنا على أن نتفكر في ايات الله واختلاف خلقه : يقول الله جل شأنه (**أن في السموات والأرض لايات للمؤمنين**) الجاثية/٢ ، ويقول أيضا (**وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون**) الذاريات /٢٠/٢١ .
ان هذا الأمر الكريم جاء رحمة من الله لكل الناس ليأخذ بأيديهم الى بر الأمان حينما يضع أقدامهم على طريق الايمان ، لم لا ؟ وهذا النظر العميق في خلق الله ما هو الا ذكر لله كما نستنبط من الآية الكريمة(**الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري**)الكهف/ ١٠١ .
وما ذكر الله الا عبادة ، وما العبادات الا ذكر لله تعالى .

اختلاف الألوان في هذا الكون آية كبرى :

يقول الله تعالى(**وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون**)النحل/١٣
لكي تتحس عيناك عظمة تلك الآية يجب عليك أن تتدبرها حتى تزداد احساسا بنعمة تلك الألوان ثم تستحسنها استحسانا ، واذا اردت برهانا على هذا تخيل انك في دنيا شفافة قد خلعت عنها ثوب الألوان ما عدا اللون الأسود أو اللون الأبيض كي يتسنى لك رؤية ما فيها فان لم تستطع الى ذلك سبيلا فما عليك الا أن تذهب الى جهاز تليفزيون(أبيض وأسود) ثم اضغط على أحد ازراره فانك ستشاهد ما سوف تشاهد .
ثم تخيل بعد ذلك تلك الاشجار من خلفك وتلك الازهار من حولك ، وهذا النبات في حقله كله اسود ... اسود ... اسود ، ترى ماذا سيكون اثر ذلك في نفسك ؟
ثم تصور نفسك في بيتك هذا ابنك قادم نحوك يحمل تفاحة سوداء تبدو بجوارها برتقالة من نفس اللون ، وهذى بنتك تلعب بتلك الرمانة السوداء التي وقعت في طبق فوقه بعض من حبات ارز أسود ، فهل لك بعد ذلك خيار في أن تسكت ؟
أو تقول : ان تلك الحياة ستكون مقبضة بل وتثير الشجون في كل حين .

وهل لك أيضا أن تتخيل أنك لن ترى هذا البلح الأحمر ، أوذاك الاصفر فى جوافة يانعة ، أوذاك البنفسجي في باذنجانة لامعة ، أوذاك الاخضر في خيارة ناضجة ، أو هذا الابيض في ياسمينة مشرقة .

○ اختلاف ألوان الزرع اية :

يقول الله تعالى (**ألم تر أن الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه**) الزمر/٢١ ، انك إن شاهدت جنة أو بستانا أو مشيت في حقل أو في حديقة أو زرت قرية أو مكثت في مكان به زرع ، اذن لوجدت قدرة الله تنطق ببديع صنعته وعظيم ابداعه ، فهذا زرع يميل الى البياض وهذا اخر أحمر وهذا اخضر ، بل إن تعمقت اكثر ودققت اكثر وجدت أن هذا الاخضر لن تستطيع ان تحصيه من حيث درجات هذا الاخضرار .
وياليت كل انسان يتذكر ربه حينما يقف أمام زهرة مذهولا بحسنها مبهورا بجمالها ، لأن اوراقها جمعت اكثر من لون : تعجز أية ريشة فنان مهما كان أن ترسم مثلها ، أو أي كائن ما كان أن يحاكيها ... اللهم الا ان يتغزل بها .

○ اختلاف لون عسل النحل آية :

يقول الله تعالى (**يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه**)النحل/ ٦٩ .
رغم أن عسل النحل يخرج من بطون تلك الحشرة الواحدة الذي اقترن اسمها به الا أن ألوانه تختلف حسب البيئة التي يعيش فيها ، حتى أننا نرى هذه النحلة التي تنتج عسلا أبيض في فصل الشتاء ، تفرز عسلا يميل الى الاحمرار في فصل الربيع ذلك لأنها امتصت رحيقا يختلف في كل مرة عن غيره ، الا أننا نكاد نرى معظمه يميل الى اللون الأبيض في أغلب الأوقات وغالبا في كل مكان ، لهذا السبب كان اكتساب اسمه الشائع به بين الناس .

اختلاف ألوان الجبال والبشر والحيوانات آيات :

يقول الله تعالى (**ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه**) فاطر /٢٧ ، ٢٨ .
اننا اذا تدبرنا هذه الكلمات المباركة وجدنا اية اختلاف ألوان الجبال قد جاء بعدها مباشرة اية اختلاف ألوان الناس نظرا لوجود علاقة وثيقة قوية بين التكوين

الأساسي للجبال وبين خلق الانسان من تراب .
اننا اذا تفكرنا كيف انحدر هؤلاء الناس جميعا من أب واحد ذي بشرة واحدة ومن أم واحدة خلقت في البداية من ذلك الأب فسنجد أنفسنا تائهين مبهورين حينما نتساءل كيف اكتسب هؤلاء الاحفاد وأحفاد الاحفاد هذه الألوان كلها ؟...

أليست هذه قدرة ما بعدها قدرة ؟ يا من تقولون ان جميع الصفات التي يكتسبها الأبناء من الاباء تنتقل بواسطة الكروموزومات التي يحملها ذلك الحيوان المنوي في رأسه او في تلك النواة بهذه البويضة التي تقذف بها مبايض الأنثى ، هل كان في نطف ادم كل هذه الألوان ؟

○ اختلاف الشعوب آية :

يقول الله تعالى في كتابه الكريم (**انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل**) الحجرات/١٣ ، (**ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين**)هود/ ١١٨ .
لقد شاءت ارادة الله وحكمته أن تكون هناك دول وشعوب قائمة كل بذاتها ، لقد بدأت تلك التجمعات الشعوبية بالتآلف القبائلي الذي ولد الانتماء للجماعة والأرض نتيجة لصلة القرابة ووحدة المصير والعيش في مكان واحد .
وبالرغم من ان هذه الدول والشعوب يمثل كل واحد منها مجتمعا يتميز ويختلف عن غيره فانه يظل مجبرا لاقامة علاقات مع غيره من الشعوب الأخرى لأنه لا يستطيع أن يعزل نفسه في قوقعة ساكنة أو في شرنقة مسكونة كأنها قبر يضم بين خيوطه أحياء أحبوا السكون والوحدة .

○ اختلاف لغات البشر اية :

يقول الله عز وجل (**ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم**) الروم/٢٢ .
وكما أن اختلاف الوان البشر الذين انحدروا من صلب آدم اية ، كذلك كان اختلاف ألسنتهم اية أخرى ارتبطت بتلك الآية الأولى التي وردت في كتاب الله الحكيم بعدها مباشرة .
ان هؤلاء البشر جميعا لا يتفاهمون فيما بينهم بلغة واحدة مشتركة رغم أن ادم عليه السلام كان صاحب لسان واحد وبيان لم يتغير ، انك تراهم قد اختلفوا في لغاتهم حسب مواقعهم الجغرافية ، فلو تفكرت كثيرا او قليلا لوجدت كل لغة كافية للتعبير عما يحيط بقائليها ، كما انها قادرة على تصوير ما يدور بالأذهان من أحاسيس وأفكار .
انك ستنبهر حقا اذا علمت حقيقة العدد الذي يمثل تلك اللغات التي تنتشر في هذا العالم ، وستنبهر أكثر اذا بحثت عن أصلها أو كيف نشأت ؟

اننا لن نجد من يدلنا كيف ترك الاحفاد لغة ادم ثم اصبحوا يتكلمون لغة اخرى لها مصطلحاتها التي تميزها عن غيرها وقواعدها التي تنفرد بها ، بل ورونقها وجمالها الذي لا يستطيع أن يتذوقه احد مثل من يتكلمون بها .
ان انتقال اللغة من الآباء الى الابناء لا تولد مع كل طفل ، وهذا ما يزيد ايماننا بقدرة الله تعالى لأن سلسلة تعليم اللغة لاتنقطع أبدا ، فهذه الأم تبدأ بتعليم وليدها طريقة نطق أسماء الاشياء من حوله امتدادا لتعليم الرب لآدم عليه السلام الاسماء (وعلم ادم الاسماء كلها) البقرة/ ٣١

لهذا كان اختلاف ألسنة الناس آية تدل على قدرة الله جل علاه .

○ اختلاف بصمات الانسان آية :

يقول الله تعالى (**أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه**) القيامة٣ ،٤
حقا ان الاية السابقة تعتبر اعجازا علميا لم يتوصل الانسان الى معرفة مدلوله ومغزاه الا منذ زمن ليس ببعيد ، ان هذه الكلمات الطاهرة لم تأت لتبين اختلاف تلك الأصابع التي لا يتشابه فيها اثنان حتى في هذه اليد الواحدة ، بل جاءت لتقرر أن البصمات التي فيها تختلف عن غيرها .
ان لكل أنسان بصمات في انامله تميزه عن غيره من نفس جنسه ، بل ان كل عقلة في نفس الاصبع تختلف عن العقلة التي تعلوها أو تقع أسفل منها بالرغم من أن كل الأصابع يتدفق اليها دم واحد من نبضات قلب واحد ، بل انها جميعا تحس باحساس واحد وتغور في اطرافها خيوط عصبية متماثلة .
فكيف لهذا المتشكك بعد ذلك نراه عاجزا لا يرى عظمة الله في تلك الاية انه وعد أن يعيد كل انسان بعد موته حسب حالته التي كان عليها في الحياة الدنيا حتى تلك التعاريج التي رسخت في جلد كفيه واصابعه ، لقد هدى الله الناس فسجلوا تلك البصمات فوق صفحات وبطاقات تدل على هويتهم حتى يشهدوا بسابق جحودهم .
ياله من اله عظيم حقا ذلك الذي جعل بقدرته لكل انسان بصماته التي لا تشابهها بصمة اخرى حتى في تلك التوائم .

○ اختلاف الصفات التى يحملها المنى والبويضة آية :

يقول الله تعالى (**انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج**)الانسان/ ٢
ان معظم الصفات التي تظهر في ذلك المولود ، يقابلها في نفس الوقت بذلك المولود نفسه صفات اخرى تختلف عنها بل تراها على النقيض منها لأنها تعتبر عكسها تماما ، لكنها تنحت واختفت وتقوقعت في تلك الجينات كي تظل قابعة فيها كي تنتقل للأبناء أو الأحفاد .

ورغم اختلاف وكثرة هذه الصفات وتعددها في تلك الجينات التي تتحكم في اظهارها مع كل لحظة في نمو الجنين الا انها لا تتشابه لدى انسان واخر حتى بين هذين الاخوين التوأمين اذ انه يوجد بعض الاختلافات .

○ اختلاف الأطعمة آية :

يقول الله تعالى (**واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد**) البقرة/٦١ ، (**فلينظر أيها أزكى طعاما**) الكهف/١٩ .

حقا ان في اختلاف الأطعمة آية كبرى تنطق بقدرته وتدل على أنه قد نوع بحكمته أصناف هذا الطعام كي تتفق مع مختلف الأمزجة حسب اختلاف أنواع البشر نتيجة لعدم تماثلهم في الألوان والأشكال والطباع ، لهذا خلق الله الأطعمة وعددها ولم يخلقها طعاما واحدا فنوعها من حيث الشكل والطعم والرائحة حتى في الصنف الواحد .

فهذا البرتقال البلدي وهذا ما يسمى (بأبوسرة) وهذا السكري وهذا الصيفي .

كما تختلف الأطعمة من حيث مكوناتها سواء تلك المعادن أو البروتينات او السكريات أو الدهنيات أو الاحماض أو القلويات أو من حيث اختلاف وتعدد الفيتامينات .

وكما اختلفت الأطعمة فقد اختلفت أيضا مصادرها التي خلقها الله : فهذه الأرض التي أنبتت نباتا شتى ، وتلك البحار التي نصيد منها أسماكا لا تحصى ، وتلك الحيوانات والطيور التي نأكل لحمها وبيضها أكلا .

○ اختلاف طعم الثمار رغم تجاور اشجاره آية :

يقول الله تعالى (**وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل**) الرعد/٤ ، (**والنخل والزرع مختلفا أكله**) الانعام/١٤١ .

فلو دخلنا يوما بستانا يسقى بماء واحد ، ثم التقطنا من شجرتين متجاورتين فيه ثمرتين من نفس الصنف ، فماذا سنتذوق ؟

إننا سنجد واحدة أحلى من الاخرى حتى ثمار تلك الشجرة الواحدة سنجد أيضا مثل ذلك التفضيل أو ذاك الفرق ،ولعل هذا راجع الى اختلاف الوقت الذي ظهرت فيه كل زهرة سبقت تكوين الثمرة ، كذلك تلعب اختلافات رائحة كل فاكهة - وجميعها طيبة زكية تهفو لها كل نفس - دورا كبيرا في هذا التفضيل .

واذا زرنا يوما حقلا ثم رأينا فيه شجرة حنظل وشجرة فلفل وشجرة شطة وشجرة صبر وشجرة مر وشجرة موز وشجرة تفاح ، ثم تذوقنا ثمر تلك الأشجار(ثم شممناه) ثم نظرنا اليه كذلك (**انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه**) الانعام/ ٩٩ .

حينئذ سنتفكر في هذا الماء الواحد وهذا الطين الواحد وهذا الهواء الواحد وهذا

الصنف الواحد ثم ذلك الاختلاف في الطعم .

○ اختلاف الليل والنهار آية :

يقول الله تعالى (**ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات**) ال عمران/١٩٠ ، (**ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات**)يونس/٦ .

لقد جاء ذكر هذه الاية في القران في اكثر من آية ، لأن التأمل فيها يحتاج الى وقت اطول ، وادراك أعظم ، وعلم أكثر ، وحضور تام ، وذكر لله رب الأنام .

فهل لك أن تتخيل هذا الليل السرمدي على وجه تلك الارض ؟ فلا ترى فوقها شمسا ولا نورا ولا دفئا ، وهل لك أيضا أن تتخيل هذا النهار السرمدي الذي يملأ الدنيا ؟ فلا تجد سكونا ولا سكينة فالكون كله يعج بالحركة والارهاق والالام فلا نوم الا قليلا وان تم فكيف تكون فيه الراحة والجسد يتلظى تحت وهج الشمس وسياطها مهما كان هناك ظل .

كما ان اية اختلاف الليل والنهار لا تنحصر في هذا المفهوم فقط بل تتعداه الى هذا الاختلاف في طول النهار وطول الليل بين قصر وطول يتدرج تبعا لاختلاف فصول السنة (الشتاء والصيف والربيع والخريف) .

○ اختلاف صور خلق الله لا تحصى ولا تعد :

ان عظمة الله لا يستطيع أي فكر مهما أوتى من قوة أو رجاحة أن يحيط بها ولا يستطيع أي قلم أن يسجلها لأنها لا تعد ولا تحصى ، لأن كل واحدة منها تمثل كلمة في كتاب الله المنظور تشهد بوجوده وعظمته وقدرته ووحدانيته جل علاه ، وفي هذا المقام دعنا نسبح معا بعض الوقت في أنوار عظمة الله بين بعض آياته : يقول الله تعالى (**الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء**) أول سورة فاطر .

ويقول جل شأنه (**وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج**)فاطر/١٢ .

ويقول عز وجل (**الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة**) الروم/٥٤ .

ويقول أيضا (**فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها**) فصلت/١٢ .

ويقول أيضا (**الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفاألوانه**) الزمر/٢١ .

فسبحان الله قيوم السموات ... قيوم الارض الذي تجلت قدرته في كل شيء ، سبحانه الذي اذا قال للشيء كن فيكون .

رعاية المسنين

من وجهتي النظر

لا شك في ان المجتمع يدين بالولاء للمسنين الذين ادوا دورا فعالا في اعداد الاطفال والشباب وتحملوا الكثير من المشاق وضحوا بكل رخيص وثمين في سبيل توفير السعادة للنشء ولم يدخروا جهدا في نقل خبراتهم الى الاجيال اللاحقة عليهم . والذين تلقوا منهم العون واستمدوا منهم الثقافة والقيم ونقلوا عنهم التراث . فاصبح من الانصاف ان يغدق المجتمع عليهم اهتمامه في فترة الضعف والشيخوخة وان يراعي التغيرات التي تحدث لهم نتيجة التقدم في السن حيث يعتريهم الوهن والضعف وتصاب اعضاء الجسم واجهزته وغدده بالخمول والكسل مما يؤثر على وظائفها ويصبحون في حاجة الى رعاية المجتمع لهم في هذه الفترة الحرجة من العمر حيث تقل قوة التحمل عندهم فيغضبون لاتفه الاسباب ويصابون بالاكتئاب بين حين واخر ويعتريهم احساس بالملل .ولم يدع الدين الاسلامي السمح جانب الرعاية بالمسنين دون ان يتعرض له بل لقد أولاهم أجل اهتمامه فقال تعالى « (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلا هما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما

الإسلامية والسيكولوجية

للأستاذ / محمد محمد عيسوى الفيومي

قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)» « الاسراء ٢٣ ، ٢٤ » وهي دعوة تحرص اشد الحرص على توفير العناية والرعاية لكبار السن وتحثنا على ان نتجنب الالفاظ التي تسبب لهم آلاما نفسية وان نحاول ادخال السرور على نفوسهم وان نحسن معاملتهم ونكثر من الدعاء لهم لان الاسلام يدرك أنهم في هذه المرحلة يحتاجون الى القول اللين والوجوه الباسمة لما لذلك من اثر طيب على نفوسهم فيشعرون بالرضا والسعادة ، بل لقد جعل الاسلام هذه الرعاية مقرونة بعبادة الله عز وجل ، ولاسيما أن المنهج الاسلامي يحتوي في ثناياه على مبادىء الذوق الرفيع ويصون الحقوق ويدعو للرحمة والالفة والمحبة والتضامن والتكافل فلم يدع كتاب الله أمرا يهم المؤمنين الا وبينه مصداقا لقوله تعالى«**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** »

(النحل ٨٩) والرسول صلى الله عليه وسلم حريص على ما يحقق الامن والسعادة لأمته فجاء في القران الكريم قوله تعالى(**لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**) «

التوبة ١٢٨ » وهو ما يوضح بجلاء الى أي مدى يحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تحقيق التوافق والبر والرحمة بين افراد أمته ليعلو ويرتفع شأنها ، ولقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن نحسن معاملة المسنين وأن نوقرهم فجاء في الحديث الشريف عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا**)حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي وهي بلا شك دعوة تتجلى فيها روح الادب والوقار ونبل الخلق وتنظيم العلاقة بين الكبير والصغير .

وفي حديث اخر عن أنس رضى الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(**ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه**) رواه الترمذي . لأن الاسلام يحفظ الحقوق ويقدر دور المسنين والاباء في عطائهم فأوجب على المجتمع توفير الرعاية لهم في فترة ضعفهم .

ولقد كان ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما يستنيران برأي الشيوخ حين تختلط الامور عليهما لثقتهما في خبرة الشيوخ . كما كان ابو بكر مثالا للابن البار فلم يجلس وأبوه واقفه قط بل كان يوقره ويحسن معاملته ، ورعاية المسنين تعتبر حقا مكفولا لهم ولم يغفله المشرع كما أنه في عنق الشباب والمجتمع حق ودين ينبغي على الشباب والمجتمع الوفاء به ولقد تضمن قانون الاحوال الشخصية في معظم المجتمعات المتقدمة بعض الحقوق للشيوخ وأوجب على الأبناء والشباب الالتزام بها . ولان الاسلام يجمع بين الجوانب الاجتماعية والاخلاقية فان رعاية المسنين تعد عملا انسانيا نبيلا لأنه من غير المعقول أن يهمل المجتمع طائفة من الناس قدمت له الكثير في شبابها وعندما يعتريها الضعف يتخلى عنها . أما الجانب السيكلوجى فلا يقل أهمية عن بقية الجوانب الاخرى ولا بد من التعرف على بعض التغيرات التي تحدث لكبار السن وذلك لأنه عندما يتقدم الفرد في الحياة تواجهه كثير من المشكلات ويصبح كبير السن كما كان طفلا يعتمد على الاخرين اقتصاديا واجتماعيا وفيزيقيا .

ان الأبناء يكبرون ويعيشون بعيدا عن ابائهم الذين يشعرون بالوحدة وبعدم الأمان ، وبعدم الرغبة فيهم وتضعف حياتهم الجنسية مما يزيد في شعورهم بالوحدة وعدم المواءمة وبالنسبة للرجال تمثل الاحالة على المعاش عبئا جديدا ، لذا ينبغي دراسة اثر الاحالة على المعاش حتى يمكن تقديم المساعدات للمحال لاعادة تكيفه ، يضاف الى ذلك فقدان أحد الطرفين الزوج أو الزوجة للاخر الى جانب الضعف الجسدي والأمراض المزمنة والمتاعب النفسية الناتجة عن تغير مفهوم الذات بالتقدم في السن ، يضاف الى ذلك ما يعرف بذهان الشيخوخة والجدير بالذكر ان ذهان الشيخوخة يرجع للضغوط النفسية أكثر مما يرجع لتدهور المخ ويمكن أن

يشفى فيه المريض اذا شعر أنه مطلوب ومرغوب فيه والمعروف أن عدد كبار السن يتزايد في العصر الحديث نتيجة تقدم العلوم الطبية وارتفاع مستوى المعيشة ولذلك ينبغي أن توجه العناية المهنية والصحية والاجتماعية لمشاكل هذا القطاع الكبير من أبناء المجتمع .

ولقد نجحت العلوم الطبيعية في اطالة عمر الانسان وينبغي على العلوم الانسانية أن تجعل هذا العمر سعيدا .

ان كبار السن يحتاجون الى الشعور بالرضا والأمان والانتماء والمواءمة وبالحب والتعاطف وبالتقدير والاحترام وبأنهم يستطيعون أن يزاولوا أعمالهم . ومن دواعي الاهتمام بكبار السن أنه قد تلاحظ أن كبار السن هم الذين يتولون قيادة البلاد بما لديهم من خبرة وحنكة . كما أن الاهتمام بكبار السن يعتبر مؤشرا من مؤشرات التقدم ذلك لان الاهتمام بهم يعد جانبا من الرعاية بالثروة البشرية التي هي أفضل من الثروات المعدنية ولقد حظيت فئات العمر المختلفة بالاهتمام كمراحل الطفولة المختلفة ومرحلة المراهقة ومرحلة الشباب وينبغي أن تنال مراحل السن المتأخرة نفس الاهتمام ذلك لأن لكل مرحلة متطلباتها وخصائصها التي ينبغي التعرف عليها وسبر أغوارها .

وتختلف مرحلة الشيخوخة من فرد لاخر حسب ما يعترى الفرد من تغييرات ولكن في الغالب تتغير الوظائف الجسمية للمسنين ويعتريها الضعف والوهن وتتغير أساليب تكيفهم وسمات شخصياتهم واتجاهاتهم وقدراتهم على التفكير والادراك والاستدلال والاحساس ، بل قد تتغير نظرتهم للأشياء وحكمهم عليها وتتغير القيم لديهم نتيجة لأن بعض خلايا الجسم والمخ يصيبها العجز وتموت كما يموت الزرع وبذلك يلزم اعادة تدريب كبار السن على بعض المهارات والاعمال التي تتناسب مع قدراتهم وامكانياتهم الحالية تعويضا عما لحق بهم من ضعف ولقد أولت بعض المجتمعات المتقدمة عناية خاصة لهذه المرحلة فصدرت مجلة للمسنين سنة ١٩٤٥ عن طريق جمعية المسنين في الولايات المتحدة الامريكية وتتلخص رسالتها في الاهتمام بكافة شئون المسنين وأحوالهم وبحث مشاكلهم والعمل على علاجها وتقديم المساعدات لهم حتى لا يشعروا بالعزلة وفي اوربا صدرت أول دورية عن المسنين سنة ١٩٥٦ احتوت الكثير من شئون المسنين وأنشئت جمعية دولية للمسنين وتعقد المؤتمرات لبحث ما يهم كبار السن كما ينبغي انشاء دار لرعاية المسنين في كل مدينة تكون مهمتها العمل على الاستفادة من خبراتهم ورعايتهم صحيا ونفسيا واجتماعيا عسى أن يعوضهم المجتمع عن بعض ما قدموه ف مراحل حياتهم المختلفة لمجتمعهم ولا متهم تقديرا وعرفانا لهم وامتدادا للحضارة الاسلامية وتمشيا مع سماحة الاسلام التي تهدف الى تحقيق السعادة للبشرية جمعاء .

وقفة تأمل

العيد

○ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « للصائم فرحتان يفرحهما ، اذا افطر فرح بفطره ، واذا لقى ربه فرح بصومه » .
○ وبعد ان انعم الله علينا بنعمة التوفيق للصيام ، فانا نرجو ان يتقبله الله ، ويثيبنا بفضله .. فانه القائل في حديث قدسي : « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به » .
○ واليوم يعيش المسلمون فرحهم بعيد الفطر ، فقد أدوا واجب الطاعة لله سبحانه ، ليعودوا من جديد الى سابق عهدهم .. فيمارسوا حياتهم المعتادة في ظل ما أحل الله .
○ واذا كانت أعياد المسلمين مرتبطة بعبادتهم .. فإنها أعياد تدعو الى فعل الخير ، وهي مهرجان يشارك فيه الكبير والصغير ، ترتسم فيه البسمة على الشفاه ، وتشيع المودة بين الناس ، وتنتفي مظاهر الشقاء والبؤس ، فالكل يشعر بفرحة العيد .. وكيف لا ، وأول ما فعله المسلمون في يوم عيدهم هو التجمع الاسلامي في رحاب الطاعة ، لاداء صلاة العيد في جماعة ، وشعارهم المتصاعد الى السماء .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر كبيرا والحمدلله كثيرا ، وسبحان الله بكرة واصيلا .
○ وكان رمضان ميدان طاعة تتطلب الصبر ، ووعاء انتصارات : صبر المسلمون كثيرا وتحملوا من اجل تحقيقها ، ونصرهم الله . وبذلك كان الاحتفال بعيد الفطر ذا معنى ، ومكانة ، ودليل عز ومجد .
○ اما اليوم .. فقاتل الله اولئك الذين اغتالوا البسمة على الشفاه ، واقتلعوا الفرحة من القلوب ، وكيف تتسنى لنا الفرحة ، والأطفال يذبحون في لبنان ، والنساء تبقر بطونهن ، والشيوخ يشردون ، وتمتهن كرامتهم ، والابطال عاشوا الحصار ، وقدموا الشهداء ، وصبروا على البلاء .
○ والزعماء يشجبون .. ويحتجون . ويشتكون لشعوبهم مما فعل عدوهم !! وماذا تصنع الشعوب .. وهي لا تملك من امرها شيئا .. عجيب ان يشتكي الحاكم لشعبه .
○ كيف لنا ان نفرح .. وحالتنا تمزق في الداخل والخارج .. وكلما هدأت فتنة ، بدأت اخرى ..
○ وفي ظل هذا الوضع .. هل ندعو الى لف اعيادنا بالوشاح الأسود ؟ لا .. اننا ندعو برغم الوضع الراهن ان نواسي اليتيم ، ونمسح على رأسه ، وان نخفف عن الفقير ، وان نشد من أزر الضعيف ، وان نعمل على تغيير ما نحن فيه .. حتى يغير الله حالنا الى احسن حال .. وبذلك يكون للعيد معنى .
○ والمستقبل للاسلام ، والأمل في الغد عريض .. فقط علينا ان نقف وقفة تأمل في واقعنا حتى نلمس مواطن الداء .. وهي مستفحلة ومتورمة ، ونصف العلاج .. وهو في اتباع الدين ..
ويومها يتحقق لنا النصر ، ويفرح المسلمون .

القيافة وأثرها في إثبات النسب

للدكتور / محمد الزحيلي

عرف العرب في الجاهلية بعض العلوم التي كانت تعتمد عليها، وتستفيد منها، وتلعب دورا بارزا في حياتها، وجاء الدين الحنيف فأقر بعض هذه العلوم وعمل بها، ومن ذلك القيافة.

وكانت العرب تحكم بالقيافة، وتفخر بها، وتعدها من اشرف علومها.

تعريف القيافة لغة :

القيافة لغة: هي معرفة الآثار والقائف هو الذي يتتبع الآثار ويعرفها، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه ويقال: هو قائف، وهو أقوف الناس، والقيافة مصدر.

أنواع القيافة :

والقيافة نوعان: قيافة الأثر وهي العيافة، وقيافة البشر. اما قيافة الأثر فهي تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر في الطرق التي تتشكل بشكل القدم والخف والحافر التي تقع عليها

لملاحقة الهراب من الناس ، والضوال من الحيوان ، اعتمادا على قوة الباصرة وقوة الخيال والحافظة حتى قيل : ان العالم بها يفرق بين اثر قدم الرجل واثر قدم المرأة وبين اثر قدم الشيخ والشاب .

وأما قيافة البشر ، فهو علم يبحث عن كيفية الاستدلال بهيئات الأعضاء في الانسان على الاشتراك بينها في النسب والولاء ، وفي سائر الاخلاق والأحوال ، واذا اطلقت القيافة فيراد منها هذا النوع ، وسمي هذا النوع بقيافة البشر لكون صاحبه يتتبع بشرات الانسان وجلوده ، وما يتبع ذلك من هيئات سائر الأعضاء ، خصوصا الأقدام .

ويلحق بهذين العلمين علم السياقة ويقال ان علوم العرب ثلاثة : السياقة والعيافة والقيافة والسياقة هي معرفة الماء من الأرض ، بوساطة الأمارات الدالة على وجود الماء ، وذلك بشم رائحة التراب ورؤية نباته ، ومراقبة تحركات الحيوان فيه ، فيعرف المختص به أن الماء قريب او بعيد ، اعتمادا على حس كامل وتخيل قوي وخبرة بخواص الأرضين ومعرفة تربتها بالوانها وخواصها وتسمى السياقة ايضا علم الريافة أي استنباط المياه .

وتبنى القيافة على وجود المناسبة والمشابهة بين الولد ووالديه ، وقد تكون هذه المناسبة في امور ظاهرة يدركها كل إنسان ، وقد تكون في امور خفية لا يدركها الا اصحاب الاختصاص والمعرفة ،وتكون باعتبار شبه خاص ، واوصاف معينة يعرفها القائف ، ويعتمد في المشابهة على قوة البصر وقوة الحافظة،ومن هنا يختلف الناس فيها كمالا وضعفا ، وقد يصل الى القمة اذا لم يشتبه على القائف شيء أصلا ، ولذلك حصرها بعض العلماء في العرب عامة ، وفي بني مدلج وبني لهب خاصة ، وانها نوع من الفراسة التي تعتبر من الغرائز الطبيعية التي يعان عليها المجبول ويعجز عنها المصروف،وقال بعض العلماء : « لا يمكن تحصيل هذا العلم وكسبه وتعليمه ، بل هو متوارث في اعراق مخصوصة من العرب لا يشاركهم فيه غيرهم » ، وقال بعض الفقهاء : يشترط في القائف أن يكون مدلجيا حرا ذكرا ولكن الأصح عند الفقهاء انه لا يشترط ان يكون مدلجيا .

تعريف القيافة عند الفقهاء :

عرف الفقهاء القيافة اصطلاحا بأنها : إلحاق الولد باصوله لوجود الشبه بينه وبينهم ، والقائف هو الذي يعرف النسب بفراسته ونظره الى اعضاء المولود ، وقال ابن دقيق العيد : القيافة هي اعتبار الأشباه لالحاق الأنساب ، وهكذا نلاحظ ان الفقهاء خصوا القيافة بمعرفة النسب عند الاشتباه ، وانها وسيلة من وسائل الاثبات أمام القاضي لالحاق

الأنساب بأهلها في احوال خاصة ومجالات معينة كما سنرى .

مشروعية الاثبات بالقيافة :

اختلف الفقهاء في مشروعية الاثبات بالقيافة على قولين :

القول الاول : أن العمل بالقيافة في معرفة النسب مشروع ويجوز العمل بها في ثبوت النسب والاستلحاق بناء على العلامات والامارات التي يعرفها القائف ، وهو قول الأئمة الثلاثة مالك والشافعي واحمد ، وهذا مروي عن عدد كبير من الصحابة والتابعين كعمر وعلي وابن عباس وابي موسى الاشعري وانس وكعب بن سور وعطاء والزهري وإياس والليث واسحاق وابي ثور ، وهو مذهب الظاهرية .

القول الثاني : أن العمل بالقيافة في معرفة النسب غير مشروع ولا يجوز العمل بها في ثبوت النسب ، وهو مذهب الحنفية والزيدية والامامية .

ادلة القول الأول : استدل القائلون بمشروعية القيافة بالسنة والاجماع نذكر اهمها باختصار .

١ ـ اخرج البخاري ومسلم واصحاب السنن واحمد والبيهقي (واللفظ لمسلم) عن عائشة رضي الله عنها انها قالت : « دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم مسرورا فقال : يا عائشة الم تري ان مجززا المدلجي دخل عليّ ، فرأى أسامة وزيدا وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما وبدت اقدامهما فقال : إن هذه الاقدام بعضها من بعض » .

والاستدلال بالحديث واضح وهو أن سرور النبي صلى الله عليه وسلم بقول مجزز تقرير لعمل القافة في الشبه الخاص ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسر إلا بالحق ولو كانت القيافة باطلة لما سرّ بها ، وهذا دليل صحيح وصريح على مشروعية القيافة في إلحاق النسب ، قال الشافعي : ولو لم يكن في القيافة إلا هذا الحديث أقنع ان يكون فيه دلالة على انه علم ولو لم يكن علماً لقال له لا تقل هذا لأنك إن أصبت في شيء لم آمن عليك ان تخطىء في غيره ، وقال ايضا : فلو لم يعتبر قوله لمنعه من المجازفة وهو صلى الله عليه وسلم لا يقر على خطأ ولا يسر إلا بالحق .

قال الخطابي : فيه دليل على ثبوت أمر القافة وصحة لقولهم في إلحاق الولد ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يظهر السرور الا بما هو حق عنده ، وكان الناس قد ارتابوا بأمر زيد بن حارثة وابنه ، وكان زيد ابيض ، وجاء اسامة اسود .

٢ ـ اخرج مسلم والبيهقي ان عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم « أو تحتم المرأة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم فيم يكون الشبه ؟ او مم يكون الشبه ؟ وقال : إن ماء الرجل اذا سبق ماء المرأة كان الشبه له ، واذا سبق ماؤها ماءه كان الشبه لها » .

فالرسول عليه الصلاة والسلام اعتبر الشبه وبين سببه ، ويلزم منه اقرار

الشبه في الحاق النسب لأن المني يوجب الشبه فيكون دليل النسب وهذا هو معتمد القائف في قيافته .

٣ ـ اخرج البخاري ومسلم والحاكم والبيهقي واصحاب السنن إلا الترمذي عن أنس بن مالك قال : ان هلال بن أمية قذف امرأته بشريك بن سمحاء ، وكان اخا للبراء بن مالك لأمه ، وكان اول رجل لاعن في الاسلام ، قال : فلاعنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابعدوها ، فان جاءت به ابيض ، سبطا ، قضيء العينين فهو لهلال بن أمية ، وإن جاءت به أكحل جعدا ، حمش الساقين ، فهو لشريك » .

وهذا الحديث ظاهر الدلالة على اعتبار القرائن والأخذ بها ، فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الشبه في اوصاف معينة ، وجعلها قرينة على النسب ، وأقام حكمه على إلحاق الولد على الشبه والأوصاف ، والشبه هو عين عمل القافة ، لأن القائف يتبع أثر الشبه ، والشبه قرينة وأمارة وعلامة على النسب .

٤ ـ اشتهر العمل بالقيافة عن عمر وعلي رضي الله عنهما ، ولم ينكر عليهما احد من المسلمين فكان إجماعا فقد استدعى عمر رضي الله عنه قائفا في ولد امرأة وطئها رجلان في طهر ، وكذلك ورد عن علي رضي الله عنه وكثير من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين .

٥ ـ أن اثبات النسب بالقيافة يستند الى رأي راجح وظن غالب ، وامارة ظاهرة بقول اهل الخبرة فقبوله أولى والعقل يرجح قبول الولد لمن اشبهه الشبه البين ، والشارع متشوف الى اتصال الانساب وحفظها والنسب فيه حق الله تعالى وحق الولد وحق الأب ، وتترتب على النسب أحكام كثيرة للأب والابن في الميراث والنفقة والحرمة وغيرها ، لذلك أجاز الشارع اثباته بطرق كثيرة كالقيافة وشهادة النساء في الولادة وينحصر اعتبار الشبه واثبات النسب بالقيافة اذا لم يعارضه سبب أقوى منه .

•أدلة القول الثاني•

استدل اصحاب القول الثاني على عدم مشروعية القيافة بعدة ادلة ، اهمها :

١ ـ اخرج البخاري ومسلم ومالك والشافعي واصحاب السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الولد للفراش » ، وهذا يدل على ان طريق ثبوت النسب هو الفراش لا غير ، ويستفاد هذا الاختصاص من الاسناد والتعريف في الحديث فلا تقبل القيافة في اثبات النسب .

٢ ـ اخرج البخاري ومسلم وابو داود والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رجلا من فزارة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتي ولدت غلاما اسود ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :«هل لك من إبل ؟ قال نعم ، قال : فما ألوانها ؟ قال : حمر ، قال : هل فيها من أورق ؟ قال : إن فيها لورقا ، قال : فأنى أتاها ذلك ؟

قال : عسى أن يكون نزعه عرق ، قال : وهذا عسى أن يكون نزعه عرق » ففي هذا الحديث أبطل الرسول صلى الله عليه وسلم الشبه الذي يعتبره القائف في نظره ، واعتبره لاغيا .

٣ ـ كتب عمر رضي الله عنه لشريح في رجلين وطئا جارية : « هو ابنهما يرثانه ويرثهما » ، وكان ذلك بمحضر من الصحابة ولم ينقل أنه انكر عليه منكر ، فيكون اجماعا ، كما قال الكاساني الحنفي ، وقد ثبت أن رجلين تداعيا ولدا فدعا له عمر رضي الله عنه القائف ، فقال : قد اشتركا فيه ، فقال عمر : وال أيهما شئت ، وهذا يدل على عدم اعتبار القيافة في نظر عمر .

المناقشة والترجيح :

اعترض اصحاب القول الثاني على مشروعية القيافة بعدة امور ، منها أن القيافة من أمر الجاهلية كالكهانة ونحوها ، وسرور النبي صلى الله عليه وسلم بقول القائف لأجل الزام المشركين بما هو حجة عندهم ، ولأن قوله وافق الحكم الشرعي باثبات النسب بالفراش ، وأن نسب اسامة كان ثابتا ، فالقائف لم يثبت شيئا جديدا وقال الزيدية : هذا الحديث نسخ بحديث « الولد للفراش » كما اعترض الحنفية بان الحكم بالقيافة هو استناد على مجرد الشبه والحدس والتخمين وأن وجود الشبه بين الاجانب يمنع الاعتماد على القيافة ولو كان الشبه معتبرا لصح الحاق الولد بمن يشبهه ولو لأكثر من واحد ، وهذا لا يقول الجمهور به ، ولو اعتبر الشبه لبطلت مشروعية اللعان ، مع أن اللعان ثابت بالقرآن الكريم ، ولو كانت القيافة علما لأمكن اكتسابه كالعلوم والصنائع .

وأجاب الجمهور اصحاب القول الأول على هذه الاعتراضات ، وقالوا : لو كانت القيافة من امور الجاهلية التي لا يقرها الاسلام لما سر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له شأن آخر معها ، فالرسول الكريم لا يقر الباطل ولو كان وسيلة الى خير أو حق والغاية لا تبرر الوسيلة في الشريعة، والاسلام حارب الأنصاب مع أنها تؤدي الى اطعام الفقراء والمساكين ، وقد حرم الرسول صلى الله عليه وسلم الكهانة ، وقال فيها : « من أتى كاهنا فصدقه فقد كفر بما انزل على محمد » رواه الامام احمد والحاكم . وان كثيرا من العادات والتقاليد الحسنة التي كانت في الجاهلية اقرها الاسلام وبعد اقرارها ومجيء الشرع بها لم تبق من امور الجاهلية بل اصبحت من الشريعة الغراء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله واقراره ، وان نسب اسامة ثابت بالفراش ، وجاءت القيافة تأكيدا لذلك ، وكان سرور النبي صلى الله عليه وسلم لتعاضد الأدلة ، وتوافق أمارات النسب ، ولو لم يكن دليلا شرعيا لما برقت أسارير وجهه الشريف ، وأما ادعاء النسخ فهو

دعوى باطلة لا دليل عليها ، وان الحنفية وجميع الفقهاء اعتبروا الشبه الظاهر من القرائن ، وقال الحنفية بالحاق الولد بالزوج اذا عقد على زوجته ، ولم يثبت اللقاء بينهما ، وان القيافة من باب الاجتهاد فيعتمد عليه كالتقويم في المقلفات ونفقات الزوجات وخرص الثمار ، وتعيين جهة القبلة والمثل في جزاء الصيد في الحرم وان وجود الشبه بين الأجانب نادر وشاذ والأحكام تبنى على الكثير الغالب لا على القليل النادر فالنادر لا حكم له لأنه في حكم المعدوم وأن الحكم بالقيافة لا يتعلق بالشبه الظاهر بين الناس ، وانما يتعلق بشبه خاص يعرفه اهل الخبرة بالقيافة ولا تعارض بين العمل بالقيافة ومشروعية اللعان ، لأن القيافة يلجأ اليها عندما يستوي الفراشان ، أما اللعان فيكون لما يشاهده الزوج على زوجته فهما بابان متباينان ، وبناء عليه فلا يصح للزوج ان يعرض ولد زوجته على القافة ، وان الولد يلحق صاحب الفراش مطلقا ، ولا يقطع نسبه عنه إلا باللعان ، وأما الاعتراض على القيافة بعدم امكان اكتسابها فالجواب انها قوة في النفس لا يمكن اكتسابها كالعين وقرض الشعر وغيره من المواهب الفطرية التي تنمو بالدراسة والخبرة والتجربة والعلم وان ماورد في الشرع لا ينسب الى حكم الجاهلية ولو وافقه كالقسامة والدية وبعض المعاملات وغيرها .

واعترض الجمهور اصحاب القول الأول على أدلة القول الثاني بأن حديث « الولد للفراش » ليس للحصر فإن حديث عائشة يخصص عموم هذا الحديث والجمع بين النصين الصحيحين افضل واولى من العمل بأحدهما وإهمال الآخر . والمراد من الفراش ليس هو الزوج وإنما المراد به كل من يجوز أن يلحق به الولد سواء كان زوجا في المتزوجة او غير الزوج عند عدم الزواج ، فلا حصر في الحديث حتى تخرج القيافة وأن النسب يثبت بغير الفراش باتفاق الفقهاء كالاقرار بالنسب . .

وان حديث « لعله نزعه عرق » دليل للجمهور على اعتبار الشبه لا على نفيه وان القيافة ليست باللون فقط ، وانما هي باعتبار شبه خاص ، وعلامات معينة وأوصاف ذاتية يعرفها القائف ، والرجل لم يسأل الا عن اختلاف اللون ، وان الحديث تأكيد للشبه ، لأنه قال بنزوع العرق الأول ، وان عادة الناس التي فطرهم الله عليها هي اعتياد الشبه ، فان اختلف الشبه ثار الشك في القلوب وظهرت الهمسات وبدأ العجب .

قال ابن حجر : « هذا الحديث اصل في اعتبار الشبه » فلا يبقى حجة للحنفية فيه .

وأما ما كتبه عمر لشريح فلا دلالة فيه على إبطال القيافة وان قوله : وال أيهما شئت، لا يدل صراحة على رد القيافة وانما يقتصر على حالة الاشتباه على القائف وعدم الجزم او القناعة بقوله ، وان طلب عمر للقائف دليل على مشروعية القيافة ولو كانت من أمر

الجاهلية لما طلب عمر القائف أصلا ، وقد ورد عنه العمل بالقيافة بنص صريح ، وأنه كان قائفا ايضا .

ولذلك نرجح القول الأول في مشروعية القيافة في اثبات النسب ، وأنها تقوم على اعتبار الشبه والأوصاف في النسب وأن الشرع بنى عليها حكما شرعيا قال ابن فرحون : « حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده بالقيافة ، وجعلها دليلا على ثبوت النسب ، وليس فيها الا مجرد الأمارات والعلامات » ، وقال البيهقي في القيافة : « باب الدليل على أن لغلبة الاشتباه تأثيرا في الانسان وأن لها حكما اذا لم يكن ما هو أقوى منها من فراش او غيره » ، وقال ابن فرحون عن القيافة انها « من باب قياس الشبه وهو اصل معمول به في الشرع » .

• مجال العمل بالقيافة •

ينحصر العمل بالقيافة عند اختلاط الأولاد ، وعدم معرفة نسب الولد ، كما لو وجد لقيط لم يعرف نسبه فحضر رجلان وادعى كل منهمانسبه او غير ذلك من الصور التي ذكرها الفقهاء في كتبهم .

القيافة والعلم الحديث :

القيافة علم وخبرة وفطانة وقد تلاشت الآن ، ولكن العلم الحديث تمكن من الوصول الى وسائل جديدة تعتمد على العلم والخبرة ايضا وتقوم على أساس الأوصاف والتشابه المزدوج ، وهو تحليل الدم عند الاختلاف في النسب ، كما لو ولدت امرأتان واختلط الولدان وتعذر تمييزهما او مات احدهما دون أن يعرف وادعت كل منهما الولد الحي ، فيمكن عن طريق تحليل الدم أن يرجح نسب الولد الصحيح لكن يقتصر اثر التحليل على حالات خاصة لا يتعداها لأنه يعتمد اسلوب التشابه بين زمر الدم ، وما يمكن ان تنتجه كل زمرتين من الرجل والمرأة ، فيقتصر على نفي التهمة عن النسب لاختلاف الزمر وليس في اثبات النسب من الأب .

كما يقوم الشبه ايضا بين قيافة الأثر والسيافة في شم التراب وبين الطرق الحديثة في تتبع الآثار والاستعانة بالكلاب البوليسية في تتبع آثار المجرمين مع التنبيه الى أن هذه القرائن ليست قوية الدلالة وإنما هي قرائن مساعدة في الاثبات كما ان الشبه المعتمد في القيافة يشبه التشابه في بصمات الأصابع في العصر الحاضر ، فاليد مكسوة بخطوط بارزة دقيقة ويتخللها فراغ وترسم هذه الخطوط اشكالا وتعاريج وانحناءات متباينة تدل على صاحبها ولا توجد في شخص آخر بينما تدل القيافة على التشابه بين اثنين ، وهذا دليل على قدرة الله تعالى في الخلق أولا وآخرا وهو القائل : (أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه.بلى قادرين على ان نسوي بنانه) القيامة (٣ ـ ٤) ، وهو القائل (فتبارك الله احسن الخالقين) ، المؤمنون / ١٤ والحمد لله رب العالمين .

أصالة

النظام العقابي الإسلامي

الدكتور : أحمد علي المجدوب

يعد النظام العقابي الاسلامي من أكثر النظم الاسلامية أصالة سواء من حيث نشأته أو من حيث تطوره . والذين شككوا في هذه الأصالة من مستشرقين ومبشرين وغيرهم لم يجدوا مايدللون به على عدم أصالة هذا النظام غير ما ادعوه من وجود تشابه بين قسمين من أقسامه وهما الحدود والقصاص وما كانت تتضمنه الشرائع السابقة من عقوبات مماثلة ، وبالذات الشريعة الموسوية التي يصرون دائما على الادعاء بأن الشريعة الاسلامية قد نقلت عنها لا فيما يتعلق بالحدود والقصاص فقط ، بل وفيما يتعلق بغيرها من النظم . وفاتهم أن النظام العقابي الاسلامي لا يتكون من هذين القسمين فقط بل ومن التعازير أيضا التي تشمل الغالبية العظمى من الجرائم سواء التقليدي منها أو المستحدث . وهذا القسم الأخير ، أي التعازير هو الذي نقصده بحديثنا عن الأصالة وليس القسمين الآخرين اللذين يعدان اقدم نظام عقابي عرفته البشرية واستمر العمل به دهورا طويلة ابتداء من ابني آدم قابيل وهابيل الى الآن . وهذا النظام ليس من وضع الانسان وانما هو من الاحكام التي فرضها الله سبحانه وتعالى على البشر ليعملوا وفقا لها ولذلك فانها تعد نظاما اسلاميا اصيلا ، اذا اخذنا الاسلام بمعناه العام الذي يشمل الاديان جميعا ولكنا في هذه الدراسة قصدنا بالاسلام معناه الخاص الذي ينطبق على رسالة النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام .

والملاحظ ان الحدود والقصاص تتكون من عدد قليل من الجرائم أو المعاصي لا تزيد على الثمانية ، وهذا لا يعني أن ما عداها من أفعال يعتبر مباحا ، وإنما يعني ان الله قد ترك للانسان أمر تجريم ما يشاء منها وفقا لما تقتضيه مصلحته وما يفرضه التطور .

وهذا النظام دليل على أن الانسان يملك حريته ويتمتع بإرادته فليس كل شيء مفروضا عليه،ونعتقد أن الذين يعيبون على الاسلام عدم إتيانه بنظام عقابي متكامل على حد زعمهم حيث اقتصر على بضع احكام تتعلق بالجنايات والحدود ،لم يكونوا ليترددوا لحظة في أن ينعوا عليه جبريته لو أنه نص على جميع الجرائم ما كان منها قائما في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وما استجد بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى ، وما سوف يستجد غدا والى ما شاء الله ويصفوه بأنه لم يترك للانسان شيئا يستخدم فيه عقله ويمارس عليه إرادته .

ومع ذلك فان الله سبحانه وتعالى اراد ان يعلم الانسان درسا بهذا الايجاز في التشريع والاختصار في التجريم وهو أن أمن الجماعة وطمأنينتها وسعادتها ليست بكثرة القوانين وتعدد التشريعات وإنما بصفاء النفوس وطهارة القلوب ويقظة الضمائر وهي أمور لا يوجدها القانون ولا توفرها العقوبات مهما تنوعت وتعددت . ولعلنا نلاحظ ما بلغته القوانين في عصرنا هذا من كثرة وما اصبحت عليه المدونات القانونية من ضخامة ومع ذلك فان الانسان لا يكاد يشعر بالأمن أو الطمأنينة فضلا عن عدم احساسه بالسعادة والرضا في ظل قيم مادية صرفة أوحت بها الشهوات وزينتها الرغبات وغذتها النزوات فأغرقت الانسان في بحر خضم من الصراع الذي هو وليد الجشع والطمع والأنانية وحب الذات .

ولذلك فإن عدم توسع الاسلام في التجريم يعد من معالم أصالته ، فهو بعكس القوانين الوضعية ، سواء السابقة عليه أو اللاحقة له ، قصد أن تكون القيود القانونية فيما يتعلق بالسلوك أقل ما يمكن ، على أن يكون الاعتماد الأساسي على العادات التي يعمل على تكوينها من خلال التربية الاسلامية ، بحيث تصبح هذه العادات في صرامتها واستحالة الخروج عليها كأي قانون ، فهي قانون الضمير الذي يعلو في القيمة على غيره من القوانين . وهذه الحقيقة البسيطة التي يتضمنها الاسلام والتي ظلت خافية على اعدائه ، أدركها عالم الاجرام الايطالي « انريكوفري » وعبر عنها في قوله : « اعطوني قانونا بسيطا ومجتمعا صالحا أضمن لكم انخفاضا عظيما في معدلات الجريمة واعطوني قانونا صالحا من كل الوجوه ومجتمعا فاسدا أضمن لكم زيادة عظيمة في معدلات الجريمة »، وهذا هو ما سبق اليه الاسلام ، عدد قليل من النصوص القانونية ومجتمع صالح ، ولكن البعض من ذوي النوايا السيئة فسروا الأمر على غير حقيقته فقالوا:انه التقصير او العجز او هما معا ، بينما فسره البعض الآخر بانه النقل او الاستعارة عن الشرائع الأخرى وهي تهمة لا دليل لهم عليها الا ما زعموه من وجود تشابه بين ما ورد في الاسلام من احكام خاصة بالحدود والقصاص وما ورد في غيره خاصا بذات

الجرائم .
ومن الواضح ان الرد على هؤلاء وتفنيد اتهامهم ليس من الصعوبة بمكان ، فمن المعروف ان الاسلام يعترف بالديانتين الموسوية والمسيحية الصحيحتين ويفسر ما جاء فيهامما بقي على اصله دون تعديل او تبديل من جانب اتباعهما ، طالما بقيت الحكمة من تطبيقه قائمة ومن هذه الأمور الحدود والقصاص .
وعلى الرغم مما اصاب التوراة من عبث على ايدي اليهود فانها لا تزال تتضمن الاحكام الخاصة بالحدود ولكن اليهود بدلوها بدافع من اهوائهم وخضوعا لشهواتهم وهو ما كشف عنه احد احبارهم حين احتكموا الى الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر رجل وامرأة يهوديين زنيا فلما جاءوا بالتوراة زعموا أنها لا تتضمن الا تسويد وجهيهما واخفوا حكم الرجم فما كان من حبرهم الا ان كشف عنه .
ففي صحيح مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتي بيهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء يهود فقال ما تجدون في التوراة على من زنى؟ قالوا نسود وجهيهما ونحملهما ونخالف بين وجهيهما ويطاف بهما قال فأتوا بالتوراة ان كنتم صادقين فجاءوا بها فقرءوها حتي اذا مروا بآية الرجم وضع الفتي الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مره فليرفع يده فرفعها فاذا تحتها آية الرجم فأمر بهمارسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما . قال عبد الله بن عمر : كنت فيمن رجمهما فلقد رأيته يقيها الحجارة بنفسه . وعلى الرغم من ذلك فان اليهود أصروا على باطلهم وطرحوا حكم التوراة واعملوا حكم التلمود الذي هو من وضع احبارهم وفيه انه : اذا أقرت المرأة بالزنا وكانت متزوجة فانها تحرم من مؤخر صداقها ويكلف زوجها بطلاقها بلا حقوق وليس لها غير ما هو موجود مما دخلت به فما فقد او سرق او تلف او بيع لا حق لها فيه . ومما يدعو إلى العجب ان هؤلاء المستشرقين والمبشرين مع ما بذلوه من جهد لتأكيد نقل الاسلام عن غيره دون اثباته علميا او تحقيقه منهجيا ، أو حتى تفسيره بطريقة موضوعية لم يحاولوا ان يفسروا التشابه الموجود بين المصادر التي يتحمسون لها أو بالأحرى يتعصبون وبين النظم التي كانت سائدة في المجتمعات التي عاشت في عصور سابقة على اليهودية والنصرانية على الرغم مما هو ثابت من ان الذين حرفوا هاتين االديانتين استمدوا تحريفاتهم من العقائد والشرائع والنظم التي كانت مطبقة في المجتمعات القديمة سواء التي قامت في وادي النيل او فيما بين النهرين او في غيرها من مناطق المعمورة . من ذلك ما فعله اليهود بما يسمي بمزامير داود التي بدلوها بأناشيد اخناتون وزعمهم انها هي مزامير داود ، حتى كشف العالم « جيمس بريستد » الحقيقة عندما وقعت في يده البرديات التي كتبت عليها اناشيد اخناتون وبقراءتها والمقارنة بينها وبين ما يسميه اليهود بمزامير داود ظهرت الحقيقة وقد نشر الرجل ما توصل اليه في هذا الصدد في كتابه « فجر الضمير » وكان من المتوقع أن تقوم قيامة العلماء الذين طالما تظاهروا بالغيرة على الحقيقة

وجندوا انفسهم لمهاجمة الاسلام وايهام الناس البسطاء أنهم يكشفون ما به من مباديء منقولة واحكام مستعارة ، ولكنهم للأسف الشديد لم يحركوا ساكنا وأصموا آذانهم عن دوي الفضيحة التي أثارها « جيمس بريستد » مما ادى الى افتضاح امرهم امام كل من لديه اهتمام بمثل هذه الأمور وفقدوا ثقة كل من كانوا يظنون انهم علماء يتمتعون بالنزاهة والاخلاص والموضوعية فاذا هم في الحقيقة متعصبون تتحكم فيهم الرغبة العمياء في الاساءة الى الاسلام والكيد لأهله .

ومع ذلك فان ما فعله اليهود بمزامير داود لا يعد شيئا خطيرا اذا قيس بما فعلوه بمبدأ الوحدانية الذي جاء به عيسى عليه السلام ، فقد حرفوه وأخذوا بمبدأ التثليث الوثني والصقوا برسلهم أبشع التهم ، ما بين زنا وسرقة واغتصاب ومضاجعة بناتهم واخواتهم وزوجات أبنائهم ووصفوهم بأوصاف تتنزه عنها أحط كتب الجنس .

ومع ذلك فان المستشرقين والمبشرين وتلاميذهم تعمى عيونهم عن رؤية هذه البشاعات والافتراءات والاكاذيب ولا ترى الا ما زعموا انه مباديء أو أحكام نقلها الاسلام عن التوراة أو غيرها .

ولو أن المستشرقين والمبشرين وغيرهم اعترفوا بأن الاسلام دين سماوي ، وأن القرآن من عند الله سبحانه وتعالى شأنه في ذلك شأن التوراة والانجيل الصحيحين لضنوا بوقتهم وجهدهم ان يضيعا في هذا الجدل العقيم والسفسطة الفارغة حول نقل الاسلام عن غيره واستعارته من سواه ، فطالما أن مصدر الديانات الثلاث واحد فلا غرابة في أن تتشابه في بعض احكامها التي لم تتغير الحكمة منها او تتبدل الغاية التي تهدف اليها .

ولقد كان هذا التشابه الذي تذرعوا به لمهاجمة الاسلام كفيلا ـ لو انهم نظروا اليه نظرة مجردة عن الأغراض ومبرأة من الأهواء ـ أن يقودهم الى الحقيقة التي وقف تعصبهم حائلا دون إدراكهم لها . فلو انهم تساءلوا : لماذا هذا التشابه بين العقوبات لا في الشرائع السماوية فحسب ، بل وفي القوانين الوضعية التي طبقت في مجتمعات لم تعرف الرسالات السماوية ؟ ولماذا الاختلاف بين ما عدا هذا من نظم سواء كانت اجتماعية او سياسية او اقتصادية ؟ لو انهم تساءلوا لوصلوا الى الحقيقة وهي ان هذا التشابه يتضمن بذاته الدليل على وحدة الاصل الذي تفرعت عنه الشعوب والمجتمعات وهو آدم وحواء أولا،ثم نوح ومن نجا معه في السفينة بعد ذلك ، ذرية بعضهم من بعض حملوا الرسالة جيلا بعد جيل ودهرا في اثر دهر ولكن عوامل الافساد والانحراف عملت عملها فابتعد الناس عن احكام الله سبحانه وتعالى وغلبوا احكام البشر التي تستجيب لأهوائهم وتتغاضى عن رذائلهم . والا فبماذا نفسر وجود نظام القصاص في مجتمعات تفصل بينها عصور طويلة وتبتعد عن بعضها مسافات عظيمة كالمجتمع الصيني والمجتمع الروماني مثلا واحدهما في اقصى الغرب بينما الآخر في اقصى الشرق فضلا عن المجتمعات التي تقع بينهما كالمجتمع الهندي والمجتمع العربي القديم والمجتمع الفرعوني وغيرها من

المجتمعات الصغيرة كالقبائل المنعزلة عن العالم المعروف في تلك العصور والتي لم يكن لها اي اتصال من اي نوع به . وقد يقول قائل : اذا كان ذلك بالنسبة للقصاص فماذا بالنسبة للحدود ؟ هل كانت هي الأخرى موجودة في المجتمعات الموغلة في القدم ؟ وإجابتنا على هذا بالايجاب اي انها كانت موجودة ، بل ان وجودها من باب أولى لأنها تتعلق برذائل كان بعث الانبياء الواحد بعد الآخر يهدف الى مواجهتها والنهي عنها وبيان ما يؤدي إليه شيوعها من فساد الأمم وانحلال المجتمعات ثم خرابها بل انه يمكن القول استنادا إلى ما ورد في الشرائع القديمة ان كثيرا من جرائم الحدود كان يعاقب عليه بأشد العقوبات مثل السرقة والقذف وقطع الطريق والردة ، وأن كان الحد على الأخيرة منها قد بلغ الانحراف به غايته الى اقصى مدى يمكن تصوره حيث أصبح يوقع على من يرتد عن دين آبائه القائم على الشرك الى دين التوحيد . ويتضمن القرآن الكريم اكثر من اشارة في هذا الصدد ، فقد هدد النبي شعيب بالرجم اذا لم يكف عن توجيه النصح الى قومه بالعدول عن الشرك كما هدد لوط عليه السلام من قومه ، أما ابراهيم عليه السلام فقد عوقب بالفعل بالقائه في النار في حين لقى غيرهم من الأنبياء العنت والاضطهاد من قومهم .

وكما انحرف الناس عن التوحيد الى الشرك ، وعن عبادة الله الواحد الى عبادة الأصنام والأوثان ، فقد انحرفوا ايضا عن احكام الله واحلوا محلها احكاما من وضعهم . والملاحظ ان انحرافهم عن هذه الاحكام لم يكن بنفس الدرجة وهذا يفسر بقاء احكام القصاص حتى عهد قريب وزوال احكام الحدود تقريبا والسبب في ذلك يرجع الى انه بينما تتعلق احكام القصاص **بحقوق الناس فإن أحكام الحدود تتعلق بما يسمى** اصطلاحا بحقوق الله او حقوق المجتمع والمعروف ان الانسان بما طبع عليه من انانية وحب لذاته لا يفرط في حق من حقوقه بسهولة بينما تراه يتساهل فيما عدا ذلك من حقوق مثال ذلك انه لا يغفر لانسان قتل له اخا او ابا او قريبا او اصابه بجراح او افقده منفعة عضو من اعضائه فيبادر الى الانتقام من الجاني بقتله او جرحه .

بينما يسهو عن الصلاة او لا يؤديها انشغالا منه بأمر من اموره الخاصة او يؤديها بسرعة وهو شارد الذهن يفكر في شأن من شئونه ، او يتردد في اداء الزكاة او لا يؤديها على وجهها ، وهذا فضلا عما قد يرتكبه من آثام يعتقد انها تحقق له النفع او توفر له المتعة فيزني او يشرب الخمر او يسرق او يقطع الطريق .

ومع ان هاتين الجريمتين اي السرقة وقطع الطريق تعدان من الحدود وارتكابهما يعتبر اعتداء على حق الله او حق المجتمع الا انهما بعكس الزنا وشرب الخمر احتفظتا بوضعهما الاصلي كجريمتين ، بل وبالغت المجتمعات في العقاب عليهما لا بصفتهما الاصليتين وانما باعتبارهما يمثلان اعتداء على المال الذي لا يملكه الا الاغنياء اصحاب السطوة والجاه من اتباع الحكام ورجال الكهنوت ، او اعتداء على هيبة الحاكم أو استخفافا بسلطانه . أما الزنا وشرب الخمر فانهما أصبحا

بمرور الوقت واشتداد الانحراف عادة يمارسها الحكام ورجال الكهنوت وأتباعهم الذين تسلطوا على الناس وانحرفوا بهم عن الطريق السوي . وهو ما عبر عنه احد اليهود الذي حضر احتكام قومه الى النبي صلى الله عليه وسلم في أمر المرأة والرجل اللذين زنيا ، ففي الرواية الثانية التى اوردها مسلم في صحيحه عن هذين اليهوديين : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بيهودي محمما مجلودا فدعاهم فقال : هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال : انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى اهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال : ولولا أنك نشدتني بهذا لم اخبرك ، نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اني اول من احيا امرك اذ أماتوه فامر به فرجم .

فالاسلام اذن يحيي اوامر الله فيما يسمي بالحدود والقصاص ويصحح منها ما اصابه التحريف ويقوم اعوجاج اهل الكتاب . ولم يقل احد ان الاسلام اتى بجديد في هذا الصدد وكل ما فعله انه بعث مرة اخرى ما اهمله اليهود ومن بعدهم النصارى من اوامر الله وما عطلوه من نواهيه ، والقرآن الكريم يتضمن الكثير من الآيات التي تقرر هذه الحقيقة بشكل مباشر وصريح .

أما ما يزعمه اعداء الاسلام من انه نقل او استعار من غيره فإنه يثير قضية من شأنها اذا اثيرت ان تصيبهم بأذى كثير وشر عظيم لأنها كالسلاح ذي الحدين . كذلك فإنها تفتح عليهم بابا لن يكون باستطاعتهم غلقه بعد أن يتدفق منه طوفان الماديين والملحدين الذين سيجدون ضالتهم في اليهودية والنصرانية اكثر مما سيجدونها في الاسلام ، بل انهم وجدوها بالفعل وكان عثورهم عليها سهلا لا يحتاج الى جهد . وبنفس السلاح الذي شرعه أعداء الاسلام في وجهه أخذ الماديون يلوحون به في وجه اليهود والنصارى وما اكثر الكتب التي تناول مؤلفوها مواطن الضعف في التوراة والاناجيل وفي مقدمتها اوجه الشبه بين ما جاء في هذين الكتابين وبين ما جاء في القوانين والشرائع والعقائد القديمة ، ليس في مجال الاحكام فحسب بل وفي مجال العقيدة ايضا مما جعلهم يحكمون بأن أنبياء ورسل هذين الدينين استعاروا مبادئهم واحكامهم بل ومعظم ما جاء في كتبهم عن المبادىء والافكار والعبادات التي كانت سائدة في مجتمعاتهم أو في غيرها من المجتمعات المجاورة لها ثم ادعوا انها موحى بها اليهم ونحن على الرغم مما تتيحه لنا دراساتهم تلك من أدلة وبراهين تكفي لضرب اعداء الاسلام في الصميم ورد كيدهم الى نحورهم ، خاصة وانها دراسات قام بها يهود ونصارى . إلا اننا خضوعا منا لديننا السمح نأبى أن يدفعنا غضبنا وغيرتنا على عقيدتنا وشريعتنا الى سلوك هذا المسلك لأنه من شأنه ان يفضي بنا الى التعرض لأنبياء ورسل نؤمن بهم ونجلهم على الرغم من أن من يزعمون انهم اتباعهم قد اساءوا اليهم ولا زالوا يسيئون باصرارهم على ترديد الاكاذيب والاباطيل التي ينسبونها اليهم .

الماريجوانا

أضرارها الجسمانية وتأثيراتها البيولوجية على الإنسان

للمهندس / محمد عبدالقادر الفقي

لقد أصبح إدمان المخدرات واحدا من أشهر الأمراض الجسمية والنفسية والاجتماعية في العصر الحديث حيث يفقد متعاطيها القدرة على السيطرة على عقله ، كما يعجز عن كبح جماح نفسه عن تعاطي هذه السموم المخدرة ، لدرجة أنه بعد فترة من دوام تناوله لهذه المواد ، فان خلايا جسمه تدمن هى الأخرى – وجود المخدرات فيها ، وتعتاد عليها ، ويصبح من الصعب الاقلاع عنها ..

وتعد الماريجوانا واحدا من أخطر المخدرات آثارا على الجسد البشري ، وقد كتبت دراسات وأبحاث كثيرة عن أضرارها من جانب العلماء والبيولوجيين والمتخصصين بدراسة المخدرات ، ومع ذلك ، فان تدخينها وتعاطيها ينتشر في شكل وبائي في بعض دول الشرق ومعظم دول الغرب هذه الأيام ، ونحن في هذا المقال ، سوف نلقي مزيدا من الضوء على هذا المخدر ، وعلى آثاره البيولوجية والجسمانية ، وعلى وجهة نظر الدين الاسلامي في تحريمه ..

أولا : ما هي الماريجوانا :

الماريجوانا أحد العقاقير المخدرة التي يحصل عليها من نبات القنب الهندي ، المعروف علميا باسم Cannabis Sativa ، ويوجد من هذا النبات نوعان : النوع الليفي الذي يصنع منه الحبال والالياف ، وهو يزرع في غرب أمريكا منذ سنوات طويلة ، وقد أصبحت زراعة هذا النوع ضئيلة نسبيا منذ حلول عصر الالياف الصناعية ، والنوع الآخر وهو الذي يشتق منه مخدر الماريجوانا ، ويزرع غالبا في المناطق شبه الاستوائية من العالم في حزام يمتد من كولومبيا والمكسيك والمغرب وتونس والجزائر وإسرائيل ولبنان إلى الهمالايا والباكستان وبنما وغير ذلك ، وهذا النوع الأخير يحتوي في أوراقه وأزهاره على مواد خاصة فعالة عند استنشاقها ، أو حتى عند أكلها ، فسوف تؤدي الى الشعور بالتخدير وفقد الوعي ..

وقد عرف الانسان نبات القنب منذ حوالي خمسة آلاف سنة ، ويستعمل القنب الهندي بأشكال متنوعة اذ يمكن تدخينه مخلوطا بالتبغ غالبا ، كما يمكن مزج الراتنج الذي يفرزه بالمشروبات أو الحلويات ، ولا يزال هذا الاستعمال مسموحا به في بعض البلاد ..

وتتركز المكونات المخدرة لراتنج القنب (الذي يعرف في البلاد العربية باسم الحشيش) في الأطراف المزهرة لانثى النبات بوضع خاص ، وتشتق أنواع مختلفة من المخدرات من نبات القنب أشهرها الحشيش والماريجوانا ، ويعتقد البعض أن الحشيش هو نفسه الماريجوانا ، ولكن ليس هذا الكلام دقيقا ، فالحشيش أكثر تركيزا من الماريجوانا ، وقد حرم شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (**السياسة الشرعية**) شرب الحشيشة (أو الحشيش كما يسمى الآن) ، وقال انه يجب أن يحد متناولها كما يحد شارب الخمر ، وهى أخبث عنده من الخمر لأنها تفسد العقل والمزاج ، وعلى أية حال فان كلا من الحشيش والماريجوانا يحتويان على نفس المواد الكيميائية المخدرة ، ولكننا في مقالنا هذا سنقصر كلامنا على الماريجوانا ، ومن الذي يؤسف له أن بعض مدخني الماريجوانا يروجون كثيرا من الأفكار

عنها ، حيث يدعون زورا وبهتانا أنها ذات خواص باهرة وقدرات فائقة في علاج بعض الأمراض ، على سبيل المثال يذكرون أن لها فوائد طبية عديدة في شفاء الربو وبعض حالات القيء وتفيد أيضا في علاج الجلوكوما ، وبالرغم من أن تعاطي الماريجوانا قد يكون له مثل هذه الخصائص أحيانا ، إلا أن التأثيرات الفسيولوجية للماريجوانا ، تكون عادة مصحوبة بأعراض وآثار جانبية في منتهى الخطورة وفي غاية الضرر ، وهى في ذلك تشبه الخمر التي ذكر الحق سبحانه وتعالى أن ضررها أكبر من نفعها ، إذا كان هناك نفع أو توهم متوهم هذا النفع ، قال تعالى : « **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما** » سورة البقرة / الآية ٢١٩ . ثم حرمها وأمرباجتنابها في قوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**) المائدة / ٩٠ .

وبالاضافة الى ما سبق أن ذكرناه ، فان هناك بعض الادوية ذات الكفاءة العالية في علاج الأمراض التي يدعي مدخنو الماريجوانا أنها تعالجها ، وهذه الأدوية ليس لها التأثيرات الجانبية الضارة للماريجوانا ، كما يمكن استخدامها بقدر كبير من الثقة والاطمئنان ، ولذلك فان الحديث عن الماريجوانا بأنها ذات تأثيرات علاجية فعالة ، ليس الا محض هراء ،تماما كالحديث عن منافع الخمر والمسكرات ..

ثانيا : التأثيرات الجسمانية والبيولوجية للماريجوانا :

في السنوات العشر السابقة قام لفيف من العلماء في الولايات المتحدة الامريكية واليونان باجراء سلسلة من الدراسات والتجارب على الماريجوانا ، وقد تمكنوا في النهاية من أن يفصلوا المواد الكيميائية المختلفة الموجودة في الماريجوانا ، وقد كانت هذه مهمة عسيرة وشاقة ، لان هذه المواد توجد بمقادير صغيرة جدا ، لا تتعدى نسبتها ملليجرامات قليلة في كل سيجارة ماريجوانا ، وقد أكد ذلك شيئا هاما ، وهو أن الماريجوانا مخدر قوى جدا ، لان مقادير ضئيلة جدا من المواد الكيميائية الموجودة في هذا المخدر تؤدي الى حدوث التخدير ، وقد وجد أن الكميات الصغيرة جدا من الماريجوانا ـ سواء أكانت بالملي جرام أو بجزء من ألف جزء من الاوقية ، يكون لها تأثيرات فسيولوجية قوية على خلايا وأجهزة جسم الانسان ، وسوف نبين هذه التأثيرات بالتفصيل .

اولا ـ أثر الماريجوانا على انقسام الخلايا :

أوضحت التجارب التي أجريت في أحد المعامل الكيميائية بجامعة كولومبيا

أن الماريجوانا تحتوي على مادة كيميائية تسمى تيتراهيدرو كنا بينول Tetrahydrocannabinol تقلل من عملية انقسام الخلايا وتمنع تكون مادة د . ن . أ (DNA) وهى المادة المسئولة عن نقل الصفات الوراثية (الجينات) في الخلايا ، كما أن هذه المادة الموجودة في الماريجوانا تمنع أيضا تكوين بعض الأحماض النووية nucleic acids الموجودة في الخلايا ، وهذه الأحماض من المواد الضرورية لانقسام الخلايا ، وللقيام ببعض الوظائف داخلها ، ويحذر الدكتور جبريل نحاس الأستاذ المصري الذي أجرى هذه التجارب في جامعة كولومبيا من آثار الماريجوانا فيقول في مجلة (Fusion) الأمريكية : « على مدخني الماريجوانا أن يكونوا شديدي الحذر ، لأن المواد الكيميائية الموجودة في الماريجوانا بكميات صغيرة جدا قد تصل الى جزء من المليون جزء من الجرام سوف تؤدي الى ابطاء انقسام الخلايا ، وهو أمر سيكون في شدة الخطورة على الأجيال القادمة ، خاصة بالنسبة لذرية هؤلاء الذين يتعاطون الماريجوانا ..

وقد اتضح أن المواد الكيميائية الموجودة في الماريجوانا تظل لفترة طويلة جدا في جسم الانسان ، ويصعب التخلص منها بسهولة ، فعلى الرغم من أن الكحول الموجود في الخمور ضار ، الا أن الجسم يطرحه ويتخلص منه بسرعة جدا ، حيث يستغرق الأمر حوالي ست ساعات لكي يتم التخلص نهائيا من مقدار كأسين من الكحول شربهما الانسان ، ولكن بالنسبة لجرعة واحدة من الماريجوانا ، فان الأمر يستغرق حوالي ثلاثين يوما ، فما بالك بالناس أو الشباب الذين يدخنون الماريجوانا مرات عديدة أسبوعيا أو يوميا ؟ انهم في الواقع يخزنون في أجسامهم كل هذه المواد الكيميائية السامة التي تؤثر تأثيرا سيئا على خلاياهم .

ثانيا ـ أثر الماريجوانا على الرئة :

تعتبر الرئة الجزء الأول من جسم الانسان الذي يتأثر بتدخين الماريجوانا ، ويرجع ذلك إلى أنها أول جزء يتسلل إليه دخانها ، وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن التركيز العالي جدا للمواد الكيميائية الموجودة في الماريجوانا ذو آثار متلفة ومدمرة على خلايا الرئة ، كما أنها تحد من كفاءة عملية التنفس ، وفي احدى التجارب العلمية التي أجريت على شاب يدمن تدخين الماريجوانا ، أوضحت القياسات الكمية التي أجريت عليه . أن السعة الحيوية لرئتيه قد هبطت الى حوالي ٧٠ أو ٨٠٪ من الوضع الطبيعي ، وقد بينت صور الأشعة التي أجريت على هذا الشاب أن علامات مرض انسداد الرئة قد بدأت في الظهور والنمو .

واذا كان قد ثبت علميا أن تدخين التبغ يؤدي الى إصابة ملايين الناس بسرطان الرئة ، فان الدراسات قد أثبتت أيضا أن تدخين الماريجوانا لفترات

بسيطة أسوأ ثلاثين مرة من تدخين التبغ والسجائر ، وقد تبين أيضا أن الماريجوانا ذات تأثيرات هدامة على خلايا الرئة ، حيث تختزل وتحطم بعض أنواع الخلايا الخاصة التي تحمي الرئة من البكتريا والمواد الملوثة ، وتفوق مقدرة الماريجوانا في ذلك مقدرة دخان التبغ بمراحل .

ثالثا ـ أثر الماريجوانا على التناسل في الرجل :

أن تأثير الماريجوانا على التناسل أشد خطورة وأسوأ أثرا ، وقد قام الدكتور الأمريكي همبري Hembree باجراء بعض الدراسات مع لفيف من الباحثين عن تأثير الماريجوانا على التناسل في الذكر ، وقد أوضحت الاختبارات التي قاموا بها أن المواد الكيميائية الموجودة في هذا المخدر أدت الى نقص ملحوظ في تكون الحيوانات المنوية ، كما أدت الى زيادة ملحوظة في الأشكال غير الطبيعية لهذه الحيوانات ، حيث يتغير شكل رؤوسها وتشوه نُوَياتَها وتنعدم معظم ذيولها التي تمكنها من الحركة ، كما تحدث تأثيرات هدامة في خلايا الخصيتين ، ومن المعروف أن الخصية هى المسئولة عن افراز الحيوانات المنوية ، وفي بعض الحالات التي يدمن فيها الانسان تناول الماريجوانا ، تختفى الخلايا الخاصة بانتاج الحيوانات المنوية تماما من الخصيتين ، ولا يقتصر الامر على ذلك ، بل إن مادة رباعي هيدروكنابينول تؤثر على الدماغ أيضا ، خاصة على المراكز المسئولة عن التحكم في الأعضاء والغدد الجنسية ، بالاضافة إلى أنها تحطم الطبقة الواقية الموجودة في مقدمة رأس كل حيوان منوي ، والتي خلقها الله لحماية الحيوان المنوي في أثناء حركته .

رابعا ـ أثر الماريجوانا على التناسل في المرأة :

تزداد خطورة المواد الكيمائية الموجودة في الماريجوانا على عملية التناسل في المرأة وقد أجريت بعض التجارب على إناث القردة العليا لدراسة تأثير هذه المواد عليها ، وقد تم ذلك لصعوبة إجراء هذه التجارب على إناث البشر لعدة اعتبارات اجتماعية ودينية وطبية ، وقد بينت هذه التجارب زيادة في حالات الاجهاض ووفاة المواليد ، ولذلك السبب فان إدارة المخدرات والأغذية الأمريكية (FDA) أوصت بألا يسمح للسيدات بتدخين الماريجوانا ، ومع ذلك ، فان الكثير من الفتيات في الغرب وفي أمريكا يدخنَّ الماريجوانا في الشوارع دون رادع بدعوى الحرية ، ولست أدري أي حرية تلك التي ستؤدي الى هلاك البشر ، وإلى انتاج ذريات مشوهة ؟ !

ومن التجارب التي أجريت أيضا في الولايات المتحدة الأمريكية تلك التجارب

التي قام بها الدكتور كارول سميث Carol Smith على اناث قردة الريص Rhesus Monkeys. وهى من القرود الهندية الصغيرة التي تتميز بالذيل القصير ، كما أن لها تقريبا وبالضبط دورة طمث تشابه دورة الطمث الفسيولوجية للمرأة البشرية ، وقد حقنت أنثى قردة الريص بحقنة واحدة من مادة رباعي هيدرو كنابينول ، وسجل تأثير هذه المادة ، فوجد أنها أثرت على انتاج الهرمونات التي تتحكم في المبيض ، ووجد أيضا أن هذه المادة تؤثر على منطقة في المخ تعرف باسم « ما تحت المهاد » Hypothalamus ، وهذه المنطقة هى المسئولة عن تنظيم دورة الطمث في الاناث .

وقد أوضح الدكتور / كارول سميث أن التغيير الذي يحدث في دورة الطمث يؤدي الى تغيير نسبة الهرمونات التناسلية التي توجد في الدم بالنسبة للمرأة ، وبالتالي يؤدي ذلك الى عدم نضج البويضة ، ومن ثم اذا اضطربت الدورة الشهرية للمرأة نتيجة لتدخينها الماريجوانا ، فلن يكون هناك أي نضج للبويضة أو أن نضجها لن يكون طبيعيا ، وفي ذلك آثار سيئة جدا لا يحمد عقباها ولا نعرف نتائجها على الذريات القادمة .

وقد اتضح من التجارب التي أجريت أيضا على قردة الريص أن مجموعة الحيوانات التي تعرضت لمادة رباعي هيدرو كنابينول يوميا ، حدثت فيها عمليات اجهاض وموت للأجنة بنسبة ٤٪ ، وبالاضافة الى ذلك فان ذرية هذه القردة المذكورة كانت ضامرة وناقصة النمو ، بمعنى أنها لم تَنْمُ نموا مناسبا ، وكان سلوكها غير طبيعي .

وقد استنتج العلماء من تجاربهم أن الماريجوانا تسبب تسمما للجنين في رحم أمه ، بمعنى أنها تقتله ، ويحدث ذلك نتيجة لتأثير المواد الكيميائية الموجودة في المخدر على الغدة النخامية ، مما يؤدي الى اضطراب الاتزان الهرموني الضروري للمحافظة على الحمل ، وبالتالي فان هذا الاضطراب يؤدي بدوره إلى عدم انتظام إمدادات الدم الى الجنين في الرحم ، تلك العملية الضرورية جدا لتغذية الجنين .

خامسا ـ أثر الماريجوانا على المخ :

إن أكبر وأهم وأخطر تأثير متلف للماريجوانا هو التأثير المباشر على خلايا الدماغ ، حيث تؤثر على المراكز التي تتحكم في الأطراف والذاكرة ، كما تؤثر على بعض مراكز العواطف ، والرؤية في المخ ، وقد أوضح الدكتور روبرت هيث Robert Heath في جامعة تولان بنيواورليانز أن مقادير صغيرة من الماريجوانا في قردة الريص تسبب تلفا بالدماغ ، في المناطق الخلوية التي تقع بين الخلايا العصبية والتي تنتقل عبرها الدوافع الكيميائية الكهربية المعروفة باسم الاشارات العصبية ، كما أوضح الدكتور / هيث أيضا أن القردة التي منعت من الماريجوانا

لفترة تسعة أشهر بعد دوام تناولها لها قبل ذلك لم تعد الى حالتها الطبيعية نتيجة للآثار السيئة للماريجوانا ومركباتها التي تراكمت في الجسم ، ولا تزال الدراسات مستمرة على تأثير الماريجوانا على المخ ، ومعرفة التلف الناتج عنها في خلايا الجسم بصورة عامة ، والدماغ بصورة خاصة .

حكم الاسلام في تحريم الماريجوانا :

لم تكن الماريجوانا موجودة في عصر الرسول « صلى الله عليه وسلم » ومن الطبيعي الا يتحدث القرآن عن الماريجوانا ، وهى غير معروفة للعرب ، ولكنها ينطبق عليها ما ينطبق على الخمر من تحريم ، فبالرغم من أن الماريجوانا لا تحتوي على أية مواد كحولية ، إلا أنها كما رأينا في هذا المقال ذات آثار أشد ضررا من الكحول ، ولهذا فانها أولى بالتحريم ، فهى تفتك بالبدن وتؤثر على الأجنة ، كما أن متعاطيها قد يرتكب الكثير من الجرائم كالسرقة أو الرشوة أو ما شابه ذلك من أجل توفير المال للحصول عليها ، بل ، ويمكننا أن نعتبرها أحد الأنواع الرئيسة من الخمور ، وبالتالي تنطبق عليها آيات التحريم ، فمن المعروف أن الخمر في اللغة هى كل ما يستر العقل ، وهى مشتقة من خمار المرأة لأنه يستر وجهها .

إن الماريجوانا شأنها شأن الخمر تؤدي إلى فقد الوعي والاهمال واللامبالاة بالعالم ، وهذا ما يرفضه الاسلام الذي ينادي بتكريم الانسان واحترام العقل ، أضف الى ذلك أن الماريجوانا ذات آثار اجتماعية سيئة ، فهى تقوض نظام الاسرة ، وتجعل مدمنها عبدا لها ، ولا يستطيع التخلص منها ..

ولما كان الأصل في الشرع أنه ينهى عن تناول كل مسكر ومفتر ، قليله أو كثيره ، فان الماريجوانا يجب أن يحرم تداولها وتناولها وشراؤها وبيعها في البلاد الاسلامية ، حتى نمنع آثارها وأضرارها عن مجتمع التوحيد ، فانها بحق رجس من عمل الشيطان ، تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، بالاضافة لما تورثه من تشوهات في نسل الذين يتعاطونها .

ولقد نبهنا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الى أن هناك أقواما يتعاطون أنواعا من الخمور ويسمونها بغير اسمها خداعا لأنفسهم ولكنها في حقيقة الأمر وفي جوهره خمر لها مفعول الخمر ولها حكمها ، سواء أكانت حشيشا أم ماريجوانا أم أفيونا أم شمبانيا أم غير ذلك ، يقول رسول الله « صلى الله عليه وسلم » - « يشرب ناس من أمتي الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة والخنازير » - رواه ابن ماجة في صحيحه عن أبي موسى الأشعري .

ولعله قد أصبح جليا كيف تصنع المخدرات بالانسان ، وكيف تحوله من آدمي الى حيوان فاقد العقل ، وقانا الله شرورها ، وحفظ أمتنا الاسلامية من وبائها المدمر .

من وحي العيد

للاستاذ / احمد حمدي عبد الرحمن

غنت بذكر رسول الله أكوان وشاد بالنور في الآفاق أزمان
وغرد الطير في أوكاره طربا وزغرد الحب بالآمال يزدان
وأعين الدين بالايمان ناظرة فكل من في المدى طهر وإيمان

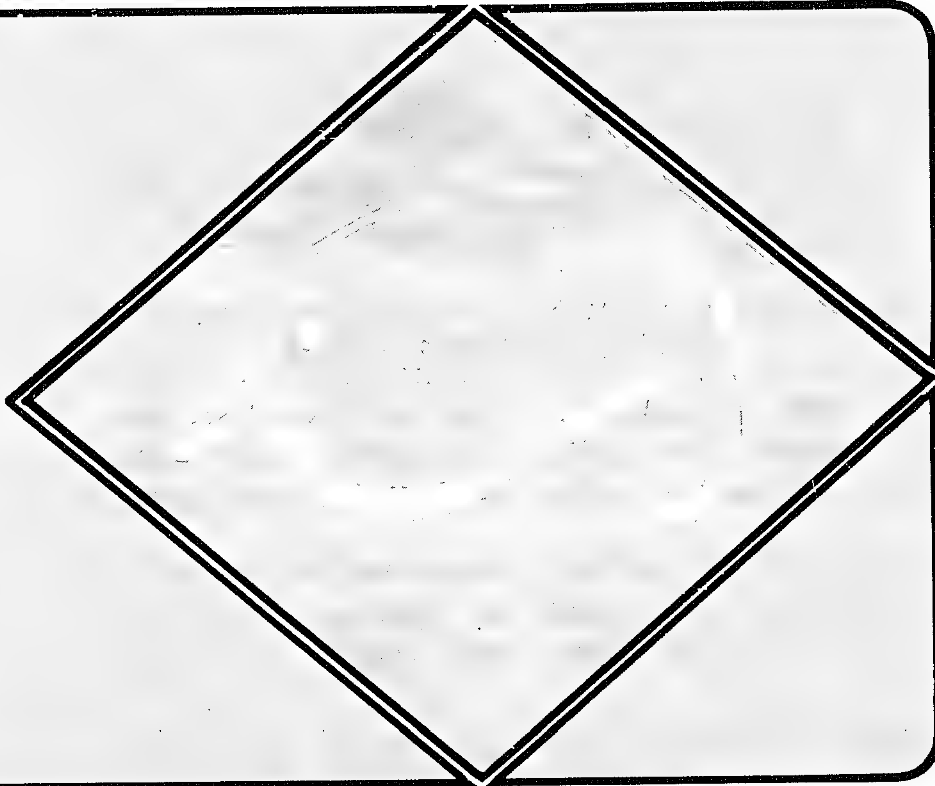
أقبلت يا عيد أهلا بعد ما رحلت أيام شهر له في الدين عنوان
شهر تعظم من رب الورى أبدا تكرما فنمت للدين أغصان
جذورها الحب والاسلام منبعها وجذعها النور والأزهار قرآن

شهر تجمعت الأشتات تكرمة له وما بينهم بغض وخلفان
يحيون شهرهمو والحب يغمرهم وكل عيشتهم جود وإحسان

وفي المساء قيام يسجدون له حمدا وللنعمة الغراء قد صانوا
وللتراويح قد قاموا وقد وجلت قلوبهم تزدهي والبدر سهران
حتى إذا ما مضى تذوى أشعته وأقبل الفجر فيه السحر فتان
ناموا على بسط الايمان عاطرة والكل منهم قرير العين جذلان

وجئت يا عيد بالأنوار مغتنما فهللت بك في الأكوان ركبان
ألبست كل الورى في عيدها حللا سنية تزدهي والقلب هيمان
فكل روح بما فازت به طربت وكل قلب به للدين بستان
يرويه حب الرسول المصطفى عبقا منعما بربيع النور يزدان
فالناس في غمرة الأفراح قد ظهروا وكلهم إخوة في الدين أخدان

أقبلت يا عيد أهلا بعد ما رحلت أيام شهر له في الدين عنوان
فكل عام وكل الخلق يغمرهم بنور خير الورى طهر وإيمان



لم يتعرض مصدر من مصادر التشريع الاسلامي الى النقد والتشويه مثلما تعرضت له السنة من قبل المستشرقين .

ولقد تركزت دراساتهم وبحوثهم في الطعن بالسنة لتشويه صورتها والتشكيك في ثبوتها . فمن حيث المتون والنصوص عكفوا على نقول توهموا تعارضها وبنوا عليها استنتاجات واوهاما ، ونظروا في الاسانيد فشككوا في تسلسلها وطعنوا في كبار المحدثين واوهنوا اسانيدهم . واستداروا الى النواحي التاريخية ليكيلوا الافتراءات على غير سند او تقيد باصول علمية في البحث وتقرير النتائج .

ولم يكتفوا بذلك ، بل حاولوا معارضة السنة بالقرآن والقرآن بالسنة ، والسنة باقوال واعمال الصحابة ايضا ، حتى اصبحت السنة نشازا بين مصادر التشريع الاسلامي لا تقوى على إثبات نفسها فضلا عن كونها مع القرآن تمثل مرجع الأمة في التشريع والتوجيه .

ولما كان كلام المستشرقين في السنة

كمصدر تشريعي في نظر المستشرقين

للدكتور / عجيل النشمي

كثيرا ومتشعبا فسنقتصر على ما يتصل بموضوعنا الاصولي مباشرة او يمت اليه بصلة وثيقة او تأثير مباشر ، باعتبار السنة المصدر الثاني من مصادر التشريع .

وسنتناول اقوالهم وتحليلاتهم واستنتاجاتهم ، ثم نرد عليها بالقدر الذي نراه كافيا في تفنيدها .

*** مفهوم السنة والحديث :**

يعبر جولدتسيهر عن مفهوم السنة فيقول : السنة هي جوهر العادات وتفكير الامة الاسلامية قديما ، فهي العادة المقدسة والامر الاول .

ويقول ايضا : إنه ما من أمر او فعل يوصف عندهم بالفضل او العدالة ،الا اذا كان له اصل في عاداتهم الموروثة او كان متفقا معها ، وهذه العادات التي تتألف منها السنة تقوم عندهم مقام القانون او الديانة Sacra ، كما انهم كانوا يرونها المصدر الاوحد للشريعة والدين ، ويعدون اطراحها خطأ جسيما ، ومخالفة خطيرة للقواعد المعروفة

والتقاليد المرعية التي لا يصح الخروج عليها ، وما يصدق عن الافعال يصدق ايضا عن الافكار الموروثة ، والجماعة يتحتم عليها ان لا تقبل في هذا المجال شيئا جديدا لا يتفق مع اراء اسلافها الاقدمين . ثم يضيف قائلا بان فكرة السنة يمكن ادراجها بين الظواهر التي سماها سبنسر بـ « العواطف القائمة مقام غيرها Sentiments representatifis ، وهي النتائج العضوية التي جمعتها بيئة من البيئات خلال الاجيال والاحقاب ، والتي تركزت وتجمعت في غريزة وراثية تتألف منها الصفة او الصفات التي يتوارثها افراد هذه البيئة ».

وقد نقل العرب فيما بعد فكرة السنة الى الاسلام الذي اوهم بمخالفة سنتهم القديمة ، واصبحت السنة الاسلامية دعامة من دعامات الفقه والتفكير في الاسلام . ولا شك ان نظرية السنة في الجاهلية قد أصابها تعديل جوهري عند انتقالها الى الاسلام .

ففي الاسلام أصبح المسلمون لا يطالبون بإحياء السنن الوثنية التي نسخت معالمها ، بل بدأوا بالمأثور من المذاهب والاقوال والافعال التي كانت لاقدم جيل من اجيال المسلمين ، واصبح افراد هذا الجيل هم المؤسسين لسنة جديدة تغاير السنة العربية القديمة .

واخذ المسلمون ـ منذ ذلك الوقت ، ينهجون في حياتهم نهج الاساليب والآراء التي صح عندهم انها من اقوال النبي (صلى الله عليه وسلم) وافعاله ، ويضعونها في المحل الاول ، او تلك التي صحت عن الصحابة ، ويضعونها في المحل الثاني .

ويقول (شاخت) ان السنة قبل الامام الشافعي كانت تضم ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم .

هذا هو مفهوم السنة عند المستشرقين ، فهي تعني مرحلتين :

ـ الاولى انها تشمل كل ما ورث عن المسلمين في الصدر الاول من اقوال وافعال وعادات وتقاليد ، والثانية تشمل كل ما أثر من اقوال وافعال عن النبي صلى الله عليه وسلم او صحابته رضوان الله عليهم .

اما مفهوم الحديث فيقول عنه جولد تسيهر بانه : الشكل الذي وصلت به السنة الينا ، فهما ليسا بمعنى واحد ، وانما السنة دليل الحديث ، فهو عبارة عن سلسلة من المحدثين الذين يوصلون الينا هذه الأخبار والاعمال المشار اليها طبقة بعد طبقة ، مما يثبت عند الصحابة انه حاز موافقة الرسول في امور الدين او الدنيا ، وما ثبت ايضا حسب هذا المعنى من المثل التي تحتذى كل يوم .

ولقد ناقض جولد تسيهر نفسه في مفهوم الحديث في موضع أخير حين قال : « جعل الخلف من الحديث موضع الثقة الكبرى ، لاشتماله على ما أثر من اقوال وافعال السلف الذين يعدهم أئمة الهدى ومنار النهج القديم .

وقد نقل بيرل عنه « ان المحدثين يرون

ان الحديث والسنة شيء واحد .
ويرى (شاخت) ان الاحاديث ليست هي السنة بل تدوين السنة بالوثائق .
وهذا الخلط بين السنة والحديث وتشوش مفهومهما ، بنوا عليه بعض الاستنتاجات والقضايا الخاطئة ، فزعم شاخت ان المسلمين قبل الإمام الشافعي كانت القاعدة عندهم استخدام احاديث الصحابة والتابعين وتقديمها على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الاستثناء من هذه القاعدة تقديم احاديث النبي صلى الله عليه وسلم على ما يؤثر عن الصحابة والتابعين . فلما جاء الامام الشافعي جعل الاستثناء هو المبدأ والقاعدة الاساسية .
ثم يستنتج ايضا فيقول : ان الاحاديث او الاخبار الواردة عن الصحابة والتابعين جاءت اكثر تقدما من الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم .
ولقد جانب المستشرقين الصواب في جملة قولهم في معنى السنة والحديث . وتحقيق القول : ان السنة في اللغة هي الطريقة والأسوة الحسنة او السيئة ومن هذا المعنى ما روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من سن في الاسلام سنة حسنة ، فله اجرها واجر من عمل بها بعده ، من غير ان ينقص من اجورهم شيء ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير ان ينقص من اوزارهم شيء . رواه مسلم .
واما السنة في الاصطلاح : فهي تختلف في معناها من علم لآخر .
فهي عند علماء اصول الفقه : كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير .
وعند الفقهاء : كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب .
وعند المحدثين : كل ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او صفة خلقية او سيرة ، سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها .
وأما الحديث فان تعريفه من حيث موضوعه ـ وهو ذات النبي صلى الله عليه وسلم من حيث انه رسول الله ـ هو : علم يعرف به اقوال رسول الله صلى اله عليه وسلم وافعاله واحواله .
او هو : كل ما اضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم .
وعلم الحديث يختلف تعريفه بالنظر اليه باعتبارات خاصة من حيث الرواية او الدراية .
فهو من حيث الرواية : علم يشتمل على اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وروايتها وضبطها ، وتحرير الفاظها .
ومن حيث الدراية : علم يعرف منه حقيقة الرواية ، وشروطها ، وانواعها ، واحكامها ، واحوال الرواة ، وشروطهم ، واصناف المرويات وما يتعلق بها .
فالرواية عبارة عن نقل السنة ونحوها واسناد ذلك الى من عزى اليه بتحديث او اخبار ، وغير ذلك .
ومن هذا يتضح ان السنة والحديث قد يترادفان ويتساويان خصوصا عند

المتأخرين من المحدثين ، ففي كل منهما اضافة قول او فعل او تقرير او صفة الى النبي صلى الله عليه وسلم . واذا كان من تباين بين مفهوم السنة والحديث فيبدو في الاطلاق اللغوي للكلمتين ولئن اطلقت السنة في كثير من المواطن على غير ما أطلق الحديث ، فان الشعور بتساويهما في الدلالة او تقاربهما ـ على الاقل ـ كان دائما يساور نقاد الحديث ، فهل السنة العملية الا الطريقة النبوية التي كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يؤيدها بأقواله الحكيمة واحاديثه الرشيدة والموجهة ؟ وهل موضوع الحديث يغاير موضوع السنة ؟ ألا يدوران كلاهما حول محور واحد ؟ ألا ينتهيان اخيرا الى النبي صلى الله عليه وسلم في اقواله المؤيدة لاعماله ، وفي اعماله المؤيدة لاقواله ؟.

ومن هذا يتبين بجلاء تهافت ما زعمه المستشرقون من ان السنة في المعنى الشرعي والاصطلاحي هي مجموع ما اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، فان ذلك لم يقله احد من علماء الامة . ويتبين كذلك ان التباين والتفرقة بين السنة والحديث ليس صحيحا على اطلاقه وفي جملته .

وعليه فان ما رام المستشرقون ترتيبه على معنى السنة والحديث لا يقوم على اساس علمي يقوى على اسناد مدعاهم .

*** * ثبوت السنة :**

توجهت انظار المغرضين من المستشرقين الى السنة المطهرة من حيث ثبوتها ليوجهوا اليها سهامهم المسمومة ويفرغوا فيها حقدهم وافتراءاتهم وطعونهم متوسمين زعزعة صرحها وتوهين بنائها ومكانتها التشريعية السامقة بعد القرآن الكريم .

ولذا فقد تبعوا نفس نهجهم في الطعن والتشكيك بالقرآن الكريم من حيث ثبوته عن الله سبحانه وتعالى ، دون الدخول في مناقشة المسائل الجزئية او القواعد والمبادىء التشريعية العامة ، لانهم يدركون بيقين انها معركة خاسرة من جهتهم ، فوق انها تستلزم منهم جهدا مضنيا وبحثا عميقا .

فكان من السهل واليسير بل ومن الاجدى لهم الطعن والتشكيك في الاساس الذي تبنى عليه حجة وقوة تلك القواعد والمبادىء ، اذ الكلام فيها عند المسلمين فرع صحة ثبوت دليلها ومصدرها وهما الكتاب والسنة ، فاذا امكنهم توهينها وهدمها فليسوا بحاجة حينئذ للكلام على ما انبنى عليها .

ومن هنا فقد جعل المستشرقون همهم التشكيك في ثبوت السنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني للتشريع ، وركزوا هذا التشكيك في جانبين :

اولا : في ثبوت السنة من جهة التدوين .

ثانيا : في صحة ثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم بتوسيعهم فكرة وضع الاحاديث وسنتعرض لهذين الامرين بذكر اقوالهم ثم مناقشتها والرد عليها .

اولا : تدوين السنة :

زعم جولد تسيهر ان الوف الاحاديث النبوية من صنع علماء الاسلام في الطبقات التالية لعصر الصحابة . وهذا يعني ان شيئا منها لم يدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الزعم ردده كثير من المستشرقين حتى تأثر به بعض علماء المسلمين ، من مثل أبي رية الذي قال :

« إن قول الله تعالى (**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي**) معناه ان القرآن هو الهداية وهو النهاية ولا شيء سواه . وانما جاءت البلوى من التقول على النبي صلى الله عليه وسلم ونسبة الاحاديث اليه وهو لم يقلها بدليل انه لم يدونها كما دون القرآن » ولا شك ان قول ابي رية هذا افتراء كبير على الله ورسوله ، لن تنفعه امام الله متابعته للمستشرقين ولن ينصروه من دونه سبحانه وتعالى .

ولا شك أن دعوى المستشرقين وزعمهم أن الأحاديث لم تدون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما دونت في عهود متأخرة ، يؤدي الى نتائج خطيرة ويؤدي الى عدم الاطمئنان بصحة ثبوت الأحاديث بل انعدام هذه الصحة في بعض الأحايين وذلك بافتراء الوضع وتوسيع أبوابه ، وبالتالي سقوط الثقة بكل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو على الأقل يصبح باب وضع الأحاديث وافترائها على النبي صلى الله عليه وسلم مفتوحا على مصراعيه ، وهذا يؤدي بدوره الى بطلان الاحتجاج بالسنة كمصدر تشريعي .

وهذه النتائج كلها هي مراد المستشرقين من سوق مزاعمهم وتشكيكهم في تدوين السنة . وهذه النتائج باطلة جملة وتفصيلا وان صحت بعض مقدماتها ، ولتجلية ذلك كله والرد عليه لزم تناول هذا الأمر بشيء من التروي والتمحيص .

فمما لا شك فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن تدوين ما يقوله ، كما وانه قد ثبت ايضا انه اجاز الكتابة ، بل انه ثبت ان بعض الصحابة كان يكتب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلابد والحال هذه من ان يكون في النهي عن الكتابة والاذن فيها اسباب ومقاصد . ولتجلية ذلك يحسن ذكر هذه الدعاوي حتى نتوصل من خلال عرضها الى معرفة حقيقة الامر .

○ النهي عن الكتابة :

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء غير القرآن فروى عطاء بن يسار عن ابي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« لا تكتبوا عني شيئا الا القرآن ، من كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحه ».

وعن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري قال : استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم ان اكتب الحديث ، فأبى ان يأذن لي ، وفي رواية انه قال سعيد : استأذنا النبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب فابى ان يأذن لنا .

وعن عطاء بن يسار عن ابي هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نكتب الاحاديث ، فقال : « ما هذا الذي تكتبون ؟» قلنا :« احاديث سمعناها منك » قال أكتاب غير كتاب الله تريدون ، ما أضل الأمم من قبلكم إلا ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله » قال ابو هريرة فقلت : أنتحدث عنك يارسول الله ؟ قال : « نعم تحدثوا عني ولا حرج ، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» .

وقيل لابي سعيد الخدري « لوكتبتم لنا ، فإنا لا نحفظ » قال « لانكتبكم ولا نجعلها مصاحف ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا فنحفظ ، فاحفظوا عنا كما كنا نحفظ عن نبيكم ».

وعن عبد الله بن مسعود قال « كنا نسمع الشيء ، فنكتبه ، ففطن لنا عبد الله ، فدعا أم ولده ، ودعا بالكتاب وبإجانة من ماء ، فغسله ».

إجازة الكتابة :

فإلى جانب ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين من النهي عن كتابة غير القرآن ، فقد ورد ما يقتضي اجازة الكتابة بل الامر بها .

روى أبو هريرة قال : كان رجل يشهد حديث النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحفظه ، فيسألني ، فاحدثه ، فشكا قلة حفظه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « استعن على حفظك بيمينك » يعني بالكتابة (تقييد العلم وهامشه ٦٥).

وروى البخاري عن ابي هريرة قال : ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمر ، فأنه كان يكتب ولا أكتب .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما لما اشتد المرض بالنبي صلى الله عليه وسلم قال : « ائتوني بكتاب ، أكتب لكم كتابا لا تضلوا من بعده فاختلفوا وكثر اللغط ، فقال : قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع » .

وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة : أن خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه ، فأخذ بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فركب راحلته فخطب فقال : « ان الله حبس عن مكة القتل ـ او الفيل ـ شك من البخاري ـ وسلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ، ألا وإنها ساعتي هذه حرام لا يختلى شوكها ، ولا يعضد شجرها ، ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد ، فمن قتل له قتيل فهو بخير النظرين ، اما ان يعقل واما ان يقاد اهل القتيل « فجاء رجل من اهل اليمن فقال : اكتب لي يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : « اكتبوا لأبي شاة ».

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتبا او رسائل إلى جهات متعددة مثل كتابه صلى الله عليه وسلم في الصدقات والذي أرسله أبو بكر

لأنس بن مالك رضي الله عنهما وهو مختوم بخاتم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتابه الى سعد بن عبادة ، وكتابه لأهل حضرموت وكتابه لأهل اليمن وصحيفته إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ، وصحيفته الى جابر بن عبد الله كما توجد صحيفة هامة للتابعي همام بن منبه الذي التقى بأبي هريرة المتوفى سنة ٥٩هـ ونقل عنه كثيرا من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم وجمع ذلك في صحيفة ، وقد وصلت هذه الصحيفة كاملة اذ عثر عليها الدكتور المحقق محمد حميد الله في مخطوطتين متماثلتين في دمشق وبرلين ، كما نقلها الإمام احمد في مسنده ، ونقلها عنه البخاري في ابواب مختلفة .

كما ثبت ان بعض الصحابة كان يكتب عن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فقد كانت عنده صحيفة فيها أحكام الدّية .

○ أسباب المنع ثم الإجازة :

رأينا كيف أن أحاديث كثيرة تدل على منع كتابة السنة ، وفي نفس الوقت دلت أحاديث اخرى على جواز الكتابة .

ولا ينبغي ان يفهم من هذا كما فهم بعض المستشرقين ان المراد بالمنع المنع المطلق والذي بنوا على أساسه عدم تدوين السنة ورتبوا عليه ما رتبوا .

كما أننا لا نتمسك بالجواز المطلق أمام مدعاهم ، بل الامر فيه من هذا ومن هذا ، فليس هناك تعارض حقيقي بين احاديث المنع واحاديث الجواز . وانما هو تعارض في الظاهر فقط ، فان المراد باحاديث النهي عن تدوين السنة التدوين الشامل الكامل لكل ما ينطق به النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه في مدونة او كتاب كما يفعل الصحابة بالقرآن الكريم ، وليس نهيا لمجرد الكتابة ، ولذا كان السماح بالكتابة محدودا ، ولبعض الصحابة ممن يأمن النبي صلى الله عليه وسلم خلطهم الحديث بالقرآن .

ومن هنا نستطيع القول ان السبب الرئيسي في المنع عدة امور ، **اولا** : خوف اختلاط الحديث بالقرآن وخوف انكباب بعض المسلمين الى دراسة وحفظ السنة وتضييع الكتاب . وإلا فمبدأ كتابة السنة لا اعتراض عليه ، ويؤيد ذلك ما روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اراد ان يكتب السنن ، فاستخار الله تعالى شهرا ، ثم اصبح وقد عزم فقال « ذكرت قوما كتبوا كتابا ، فأقبلوا عليه ، وتركوا كتاب الله عز وجل » ولعله يريد بأولئك القوم اليهود ، كما روى « ان بني اسرائيل كتبوا كتابا فاتبعوه وتركوا التوراة .

ثانيا : خوف الاتكال على الكتابة وتدوين الاحاديث وترك الحفظ : وقد كان لهذا ما يبرره فان الناس كانوا يحفظون السنن ، اذ الاسناد قريب والعهد غير بعيد ، وهذا يجعل للحفاظ

وهم العلماء قدرا ومكانة على غيرهم ممن قد يدوّن ويخطىء في الاستنباط فيفتي على غير علم . ولذلك كره كثير من الاقدمين الكتابة ، مع انهم لم ينهوا عنها كلية ، بل يكتب العالم للاستيثاق ، ولا يكتب الجاهل ، فروى عن سفيان الثوري رضي الله عنه قال : « بئس المستودع العلم القراطيسي » قال يحي بن سعيد وكان سفيان يكتب ، احتياطا واستيثاقا . ولذا كان كثير من الصحابة يكتب الحديث للاستيثاق ثم يمحوه ، فيروي ان مسروقا قال لعلقمة « اكتب لي النظائر » اي المتشابه والمتماثل من الاحاديث ، قال « أما علمت أن الكتاب يكره » قال : « إنما انظر فيه ثم امحوه » قال « فلا بأس ».

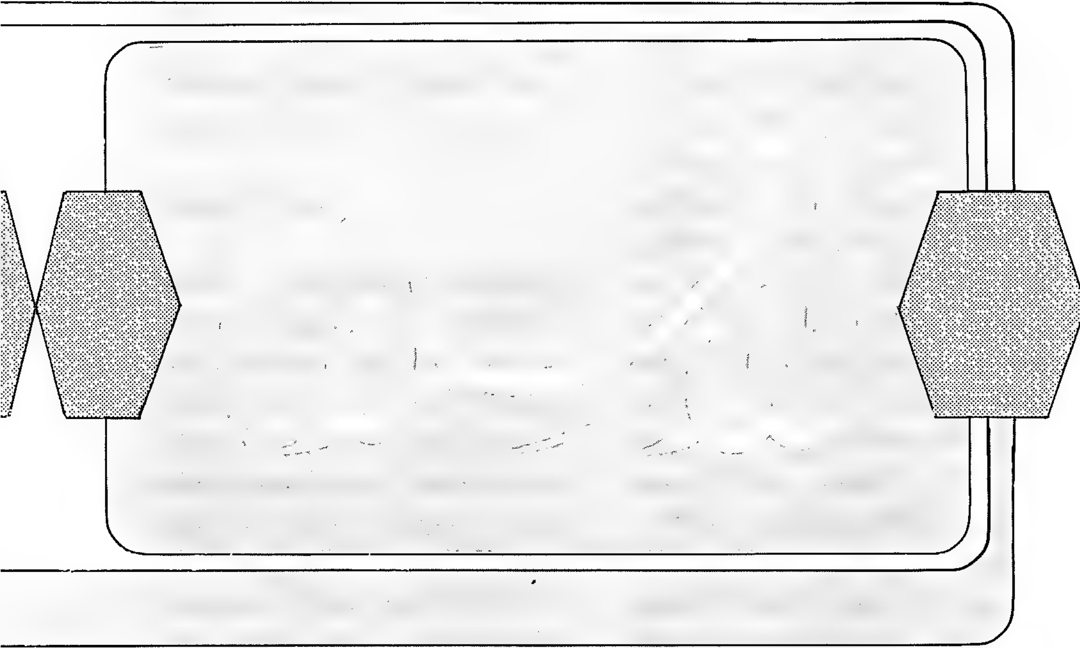
ثالثا : خوف صيران العلم الي غير أهله : فإن تدوين العلم يسوي بين العالم والجاهل ، فيفتي الجاهل ـ مما كتب على غير دراية بغير المكتوب عنده ، او يفهم غير المراد وفي هذا ما فيه من تضييع العلم وقدر العلماء ، ولذلك كان كثير من الاقدمين اذا حضرته الوفاة ، اتلف كتبه ، أو أوصى باتلافها خوفا من أن تصير إلى من ليس من أهل العلم فلا يعرف أحكامها ويحمل جميع ما فيها على ظاهره . وربما زاد فيها ونقص فيكون ذلك منسوبا الى كاتبها في الاصل .
وعلى اية حال فان كتابة الاحاديث من حيث المبدأ لم يكن منهيا عنها لذاتها وانما لما يمكن ان ينبنى عليها من مخاطر وأخطاء . بل يمكن اعتبار أحاديث جوازالكتابة ناسخة للاحاديث المنهي عنها ، لان الجواز كان آخر ما عهد عن النبي صلى الله عليه وسلم يؤيده ما سبق مما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ، انه لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال: ايتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده » .

وفي ذلك كله يقول الخطيب البغدادي ، فقد ثبت ان كراهة من كره الكتابة من الصدر الاول ، انما هي لئلا يضاهي بكتاب الله تعالى غيره ، او يشتغل عن القرآن بسواه . والنهي عن كتب العلم في صدر الاسلام وجدته لقلة الفقهاء في ذلك الوقت ، والمميزين بين الوحي وغيره ، لان اكثر الاعراب لم يكونوا فُقهوا في الدين ولا جالسوا العلماء العارفين ، فلم يؤمن ان يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن ، ويعتقدوا ان ما اشتملت عليه كلام الرحمن .
ويقول ايضا معللا لضرورة تدوين العلم : انما اتسع الناس في كتب العلم وعملوا على تدوينه في الصحف بعد الكراهة لذلك ، لان الروايات انتشرت ، والاسانيد طالت ، وأسماء الرجال وكناهم وأنسابهم كثرت ، والعبارات بالالفاظ اختلفت فعجزت القلوب عن حفظ ما ذكرنا ، وصار علم الحديث في هذا الزمان أثبت من علم الحافظ .
وبهذه الأدلة والأقوال مجتمعة لا يبقى لدعوى المستشرقين في أن السنة لم تدون الا في عهود متأخرة ، أي حظ من

دليل ثابت او حجة قوية . وبالتالي فان ما راموا التوصل اليه من توهين الاحاديث وتضعيف اسانيدها مبني على غير اساس ولا أثارة من علم .

التدوين الرسمي :

اما التدوين الذي قطع دابر كل متقول ومتصيد ، فهو التدوين الشامل للسنة الذي محصت فيه الصحاح من الاحاديث عن غيرها ، وهذا التدوين كان غاية كبيرة عظيمة كان ينشدها ويتطلع اليها كثير من العلماء ، وكان اولهم كما رأينا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولما كان عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اراد جمع احاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فارسل الى أبي بكر بن حزم عامله وقاضيه على المدينة قائلا له : « انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاكتبه ، فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء » وطلب منه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية المتوفاة ٩٨هـ والقاسم بن محمد بن ابي بكر المتوفي ١٠٦هـ ولم يخص ابن حزم بهذا بل أرسل كذلك الى الآفاق يطلب منهم مثل طلبه من ابن حزم ، والذي يظهر أن أبا بكر بن حزم كتب شيئا من السنة ، فقد أنفذ اليه ما عند عمرة والقاسم ، ، ولكنه لم يدون كل ما في المدينة من سنة وأثر ، وإنما فعل هذا الإمام محمد بن شهاب الزهري ١٢٤هـ ، ثم شاع التدوين في الجيل الذي يلي جيل الزهري ، وكان أول من جمعه بمكة ابن جريج ١٥٠هـ وابن اسحاق ١٥١هـ ، وبالمدينة سعيد بن ابي عروبة ١٥٦هـ والربيع بن صبيح ١٦٠هـ والامام مالك ١٧٩هـ وبالبصرة حماد بن سلمة ١٦٧هـ وبالكوفة سفيان الثوري ١٦١هـ وبالشام ابو عمرو الأوزاعي ١٥٧هـ وبواسط هشيم ١٧٣هـ وبخراسان عبد الله بن المبارك ١٨١هـ ، وباليمن معمر ١٥٤هـ وبالري جرير بن عبد الحميد ١٨٨هـ ، وكذلك فعل سفيان بن عيينة ١٩٨هـ والليث بن سعد ١٧٥هـ وشعبة بن الحجاج ١٦٠هـ . وهؤلاء جميعا كانوا في عصر واحد ، وكان صنيعهم في التدوين ان يجمعوا احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مختلطا باقوال الصحابة وفتاوي التابعين مع ضم الابواب بعضها الى بعض في كتاب واحد . ثم جاء القرن الثالث فكان ازهى عصور السنة واسعدها بأئمة الحديث فكتب الامام محمد بن اسماعيل البخاري ٢٥٦هـ كتابه الصحيح وتبعه تلميذه الامام مسلم بن الحجاج القشيري ٢٦١هـ فالف صحيحه ثم توالت الصحاح كسنن ابي داود ٢٧٥هـ والنسائي ٣٠٣هـ وجامع الترمذي ٢٧٩هـ وسنن ابن ماجة ٢٧٣هـ . وبمجموع هذه الكتب دونت السنة وميز الصحيح من الضعيف والموضوع ، وبهذا التدوين لا يبقى للمستشرقين واضرابهم متمسك في الطعن بصحة الاسناد الى السنة باعتبارها المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم .



الاطفال هم أولادنا ، الضوء المنير والمشرق في حياتنا ، المستقبل الباسم الذي نرجوه ونتمناه من بعدنا .. إنهم العالم المليء بالبراءة والطهر والنقاء في الأسرة والمجتمع .. إنهم الرجاء ، رجال الغد الذين تعقد عليهم الآمال في القوة والتضحية والرجولة والدفاع عن الحق وبناء الشخصية الاسلامية وبلورتها وصياغتها في أقوال وأفعال متطابقة مع منهج الاسلام والشريعة الاسلامية .

هؤلاء الأطفال ، فلذات أكبادنا ، علينا لهم حقوق ، أكثر مما عليهم نحونا من واجبات .. بل يمكن القول إننا لا يمكن أن نلزمهم بشيء لأنهم دون مرحلتي التحمل والإدراك .. لذلك فالتزامنا نحوهم واجب وضرورة كجزء من الرعاية والعناية وصولا الى التربية المثلى والسلوك الحسن ، ليشبوا رجالا عارفين وعالمين ومدركين بحقوقهم مباشرين لواجباتهم الدينية والحياتية والعملية على أكمل وجه .

إن الاهتمام بالاطفال في الاسلام سابق لاهتمام الغرب بهم .. إن الاهتمام بالأطفال في العالم الغربي المتحضر لم يبدأ حقيقة الا منذ مؤتمر البيت الأبيض للطفولة الذي عقد في مدينة واشنطن عام (١٩٠٩) ميلادية .. هذا الاهتمام كان وليد الاهتمام بروابط الأسرة ودورها الأصيل في رعاية الطفل والعناية به باعتباره كائنا حيا له متطلبات وللأسرة عليه واجبات ليشب قويا متماسكا قادرا

للأستاذ : محمد عبدالحميد

على مسايـرة روح العصر وخدمـة وطنه . من أهم التوصيات التي جاءت في هذا المؤتمر مجموعة من القواعد منها :

● حياة الأسرة هى أرقى وأفضل ما أنتجته الحضارة الاجتماعية ، ولا يجب حرمان الأطفال منها إلا في حالات الضرورة القاهرة .

● انتزاع الطفل من أسرته بسبب الفقر فحسب ، أمر غير مقبول .

● ضرورة حياة الأطفال في بيوت حاضنة (أسر بديلة) اذا حتمت الظروف رعايتهم بعيدا عن أسرهم .

● توفر للأطفال الذين يودعون في مؤسسات رعاية الأطفال (اذا كان ذلك لمصلحتهم) الأجواء التي تحاكي جو الأسرة ، اي بتوزيعهم في شكل مجموعات صغيرة ، وان يكون لكل مجموعة كوخ خاص ، وأم بديلة لهم وحدهم .

وقد سارت بقية التوصيات التي جاءت وليدة هذا المؤتمر بعد ذلك ، الى تناول كل ما يؤدي الى صحة وسلامة

الجوانب الشخصية الاساسية للطفل .. و هى الجوانب الجسمية والعقلية والوجدانية والاجتماعية الضرورية لنمو شخصية الطفل واتزانه الاجتماعي والنفسي . إن هذه التوصيات التي أصبحت دستورا فيما بعد جاءت نتيجة أبحاث ودراسات اجتماعية ونفسية ميدانية حول ما يحتاجه وما لا يحتاجه الطفل .. ولقد أصبحت فيما بعد حقوقا لا جدال فيها ، اي لا تقبل الجدل او المناقشة .. وانما فقط كل ما هو مطلوب التنفيذ .. وهذه الحقوق والحاجات هى :

- حق الطفل في الرعاية الصحية والنمو الكامل من النواحي الجسمية والعقلية والوجدانية والاجتماعية .
- حقه في التربية الصحية لتنمية مختلف قدراته وتحويلها الى مهارات واستعدادات انتاجية .
- حاجته الى التربية الدينية والتزود بالقيم الاجتماعية الايجابية .
- حقه في الاستمتاع بمختلف الفرص التي تكفل له ممارسة مختلف الهوايات في حرية ومع زملاء متجانسين معه .
- حقه في الحماية من الأعمال التي لا تتفق مع عمره ، أو مع قواه الجسمانية او مع ميوله .
- حقه في الحياة مع كافة الضمانات التي تعطيه هذه الفرصة دون أي مساس بانسانيته وكرامته .

والسؤال الذي نطرحه الآن : ما هو موقف الاسلام من الطفل ؟ .. يمكن القول إن الاسلام قرر حقوقا عديدة منوعة ومتنوعة (منذ ١٥ قرنا) للطفل المسلم .. وهو جنين في بطن امه .. ورضيع بين يديها .. ثم وهو فطيم يحتاج الى الرعاية والحنان . لقد نشأ الرسول صلى الله عليه وسلم يتيما ، وحين اختاره الحق تبارك وتعالى رسولا ورحمة للعالمين أكد القرآن الكريم الوصاية بالطفل اليتيم في أكثر من موضع وأكثر من سورة من سوره الكريمة .. جاء في قول الحق : « **الم يجدك يتيما فآوى ... فأما اليتيم فلا تقهر** » (سورة الضحى / . وقوله سبحانه وتعالى : « **أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم** » (سورة الماعون / الآية ١ ، ٢) . وقوله تعالى : « **فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام في يوم ذي مسغبة . يتيما ذا مقربة** » (سورة البلد / الآية ١١ / ١٥) .. ويقول الحق سبحانه وتعالى : « **وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين** » (سورة البقرة / الآية ٨٣) .. وايضا « **وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين** » (سورة البقرة / الآية ١٧٧) . وقوله تعالى : « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** » (سورة الانسان / الآية ٨) .

ذلك كله واجب على المسلم القيام به تصرفا وسلوكا تجاه الطفل اليتيم الفقير .. أما اذا كان يتيما ذا مال .. هنا أوجب الاسلام أن يحفظ له ماله ، وأن يستخدم ويستثمر بالطرق

الشرعية التي تزيده وتحفظه من الزوال بسوء الاستخدام .. حول هذه النقطة توجب الشريعة الاسلامية على الولي أو الوصي ادارة مال اليتيم مقابل شيء يسير (أجر) ، ويستحسن أن يتم ذلك مقابل لا شيء . يقول الحق تبارك وتعالى : « **وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا** » (سورة النساء / الآية ٦) .. وايضا قوله سبحانه وتعالى : « **ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا** » (سورة الاسراء / الآية ٣٤) .. ويقول الحق تبارك وتعالى : « **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا . إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا** » (سورة النساء / الآية ٩ ، ١٠) .

وللیتامی حقوق مفروضة واجبة الأداء من موارد بيت المال .. يقول الحق تبارك وتعالى : « **واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم امنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير** » (سورة الانفال / آية ٤١) . ويقول الحق سبحانه وتعالى : « **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب** » (سورة الحشر / الآية ٧) .

والاسلام في تقريره لحقوق اليتيم لم يقف عند هذا الحد .. بل لقد قرر حق اليتيم في تركة المتوفى ، وذلك بفرزه وهو جنين في بطن امه .. لا أحد سوى الله عزوجل يعرف مصيره من الحياة أو الموت .. ولا يعرف هل سيكون ذكرا أم أنثى .. ذلك كله يبين دقة وعظمة الخالق عز وجل في ايراد وابراز هذه الحقوق الكاملة لليتيم .. وهناك أمر عظيم الأهمية ، كبير الأثر .. ان حق هذا الجنين يستلزم رعاية أمه التي تحمله في أحشائها .. لقد قدرت هذه الحالة من حاجات الأم عند الإنفاق عليها وهى زوجة وكذلك وهى مطلقة .. ويظهر ذلك بوضوح في قوله تعالى : « **وإن كنَّ أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن** » . (سورة الطلاق / الآية ٦) .. وقد عني الاسلام بالمرضع والرضيع كما تبين احكام كتابه الكريم بقوله تبارك وتعالى : « **فإن أرضعن لكم فاتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له اخرى . لينفق ذو سعة من سعته . ومن قدر**

عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله » (سورة الطلاق / الآية ٦ ، ٧) .
وقول الحق : « **والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم ان تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير** » (سورة البقرة / الآية ٢٣٣) .

وعناية الاسلام بالطفل لم تقف عند هذا الحد .. بل اهتمت بقوته البدنية والمعنوية وخير ما يشرح لنا ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم » .. رواه ابن ماجة والحاكم وقوله: « **فاظفر بذات الدين تربت يداك** » .. **رواه البخاري ومسلم ولقد روى ان الحسن والحسين رضى الله عنهما كانا يتصارعان بين يدى الرسول الكريم ، وكان يرغب ان يشبا على الفتوة والقوة الجسمانية والدراية بفنون النزال وكان يشجع احدهما على الآخر استثارة لعزيمة كل منهما تجاه الآخر .**

حدث ان وافق الرسول صلى الله عليه وسلم لاحد الشبان المسلمين على الانضمام لصفوف المجاهدين في احدى الغزوات ، ولم يوافق على انضمام آخر لصغر سنه ونحافة جسده .. قال الأخير لرسول الله وهو (سمره بن جندب) : يا رسول الله أجزت رافعا (وكان المجاز للجهاد رافع بن خديج) ورددتني ولو صارعني لصرعته .. فقال له الرسول : « فدونك فصارعه » .. وهنا صارع سمره بن جندب رافع بن خديج فصرعه .. بعدها أجاز الرسول الكريم كليهما للجهاد في سبيل الله .

ويتوافق مع الحادثة السابقة ما روى عن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. انه كان دائما يوصي ان يتعلم الاولاد الرمي والسباحة كما أمرهم بركوب الخيل وثبا .. لأن ركوب الخيل بطريقة عادية ليس من الفروسية على الاطلاق .. والركوب وثبا فيه الكثير من مظاهر الفتوة والفروسية .. كذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يهتم بأن يتعلم كل مسلم الرمي ويداوم التدريب عليه بشكل دائم ومستمر .. يقول صلى الله عليه وسلم : « من تعلم الرمي ونسيه فليس منا » .رواه مسلم .

ولقد عني الاسلام كذلك بتربية الطفل عقائديا وخلقيا وسلوكيا .. ورد في السنة المطهرة ان على الأب ان يلقى بالأذان في أذني طفله عند ولادته .. وفي هذا التصرف ابراز واظهار لمسؤولية الاب تجاه ولده .. وما يجب عليه ان يباشره في تربيته ، ودعوته للتوحيد ورسم الطريق السليم في

حياته .. ولقد فرق الاسلام بين ما قبل مرحلة البلوغ وما بعدها .. فالطفل الصغير يمكن ان يدخل على امه في اي وقت يشاء . ولكن متى بلغ مرحلة الحلم والادراك .. عليه الا يدخل الا بعد الاستئذان حتى لا تكون أمه في عورة .. والسبيل الى ذلك التعليم وحسن التربية ومعرفة ما جاء بكتاب الحق تبارك وتعالى الذي يقول : « **أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء** » (سورة النور / الآية ٣١) .. كذلك معرفة اطفالنا الحرام والحلال .. ما أحلّه الله وما حرّمه وكل ما يتعلق بتعاليم الاسلام . ومن آداب القرآن الكريم السلوكية ما ورد كذلك في سورة النور : « **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم** » . (سورة النور / الآية ٥٨ ، ٥٩) .

والآن نتابع ما جاء في القرآن الكريم من التوجيه السليم الذي يجب ان يلتزم به الأبناء في العديد من مجالات الحياة والسلوك الحسن .. قال الحق تبارك وتعالى في سورة لقمان : « **وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك اليّ المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب اليّ ثم اليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السماوات او في الارض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك إن ذلك من عزم الامور . ولا تُصَعِّر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الاصوات لصوت الحمير** » . (سورة لقمان الآية ١٣-١٩) . ان هذه الآيات فيها الكثير من المعاني .. فيها ان يشكر الانسان الله على ايجاده ولوالديه على تربيته .. ان يطيعهما في كل شيء ولكن الا يوافقهما في الشرك بالحق تبارك وتعالى يقول لقمان لابنه يا بني ان الله لا يفلت من حسابه شيء ، فان الخصلة من الإحسان او الاساءة إن تكن وزن حبة خردل تائهة في صخرة أو في السماوات أو في الارض يأت بها الله .. وفيها كذلك الأمر بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يصيبه من مكروه .. وخير

وصاية عدم التكبر فالله سبحانه وتعالى لا يحب كل متبختر كثير الفخر .. وكذلك المطلوب الاعتدال في السير .. واذا كان هناك حديث مع آخر أو آخرين فليكن ذلك بصوت منخفض .

والاسلام يطلب من الطفل أو الصبي الا يكون جبانا .. ان يكون ذا شخصية لا يخاف الا الله .. هذا السلوك مطلوب .. وخير ما نقوله في هذا المجال .. حكاية الصبي الذي كان يلعب مع اصحابه .. ولما رأى الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. لم يسرع بالانزواء .. لم يطلق لساقيه ان تسابقا الريح .. وكلنا يعرف الخليفة عمر الذي كانت المهابة تسير في ركابه قال الصبي لعمر بن الخطاب : لم أكن مذنبا فأخاف منك ، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك ، ولم تكن جبارا فأرهبك . هذه هي شخصية الطفل أو الصبي المسلم كما يجب ان تكون .. وكما يجب ان يكون السلوك الطبيعي .

والاسلام عني بتعليم الطفل .. العلم كنز لا يفنى ، بل يتجدد بالمواظبة على الاطلاع من أجل المعرفة لخدمة المجتمع .. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر العلم فريضة على كل مسلم .. وكان عليه الصلاة والسلام يطلق الأسير المشرك بعد غزوة بدر اذا قام بتعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة .. وفي ذلك خير دلالة على أن النبي الكريم يريد للبراعم الصغيرة أن تكون غير جاهلة .. ان تكون عارفة ومتعلمة .. فالاسلام قوة بالعلم .. ولقد كانت المساجد عبر مسيرة الاسلام المكان الآمن للصلاة وتلقي علوم القرآن بعد حفظه واجادته .. وداخل المساجد التف طلاب العلم حول علماء أجلاء في الفقه والشريعة والعلوم والهندسة وغيرها .

وحسن معاملة الطفل لها مكانتها في الاسلام .. الطفل كائن حي .. كائن بسيط .. يجب ان نعامله بالحسنى .. ان نباسطه ونتباسط معه ونعطيه من الحنان ما يكفل له الشخصية السوية التي تجعله متعادلا في جميع تصرفاته .. جاء في السنة المطهرة .. ان الرسول الكريم سجد في صلاة جماعة .. اطال السجود .. ولما انتهى من صلاته سأله اصحابه عن السبب في اطالته للسجود .. هنا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «ولكن ابني ارتحلني ، فكرهت ان اعجله » . رواه احمد و النسائي

وكان حفيده الطفل اعتلى ظهره اثناء الصلاة .. لم يقل له شيئا .. لم ينهره أو يأمره بالنزول ، بل ظل ساجدا حتى اكتفى الطفل وهو على سجيته وبساطته ونزل من فوق ظهره وحده ومن تلقاء نفسه .. هكذا يجب ان تكون المعاملة .. لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في كل شيء. سؤال هادىء:هل الاسلام وقف عند هذا الحد ؟ .. الاسلام لم يترك اي شيء .. الاشياء الصغيرة كانت مثل الكبيرة في كيفية التعامل ومعاملة الطفل .. لقد شملت رعاية الاسلام الاطفال غير الشرعيين .. وهو عندما

شملهم برعايته وعنايته .. حذر من جريمة الزنا وأوقع اشد العقوبة على مرتكبيها حفاظا على كيان الاسرة .. ومن يكفل اللقيط يجب ان يرعاه ويحافظ عليه ويحسن معاملته ويعطيه كافة حقوقه كإنسان .. يقول الامام ابن حزم : « وشهادة ولد الزنا جائزة في الزنا وغيره ، ويلي القضاء وهو كغيره من المسلمين » .. ولا يوجد نص في التفريق بينه وبين غيره .. وذلك قول ابي حنيفة والشافعي واحمد واسحق وابي سليمان .. وهو ايضا قول الحسن والشعبي وعطاء بن ابي رباح والزهري .. يقول الحق سبحانه وتعالى : « **فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين** .. » .. الاحزاب/ ٥ ومعنى كلمة اخوانكم في الدين .. فلهم مالنا وعليهم ما علينا دون اي تحفظ .. أو دون قبول جزء من كل .. وهذا في حد ذاته يمثل العدل كله والعدالة كلها .

نختم الحديث في هذا المجال بما كان من أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع الاطفال .. لقد جعل للطفل الفطيم نصيبا من بيت المال .. اي انه حَمّل بيت المال حاجة الطفل للطعام .. فرض لكل مولود نصيبا من بيت المال رضيعا كان او فطيما وكان السبب ما علمه من بكاء طفل تتعجل أمه فطامه لينال حقه .. وقال قولته المشهورة : « ويح عمر ، كم قتل من اولاد المسلمين » . ويقصد بذلك ما حدث قبل ان يقرر حق الرضيع والفطيم من بيت المال . كان رضى الله عنه يتألم اذا سمع بكاء طفل .. يؤثر عنه انه قَبّلَ طفلا مرة امام احد ولاته .. فقال له الوالي : أتُقَبِّلُ أطفالك يا أمير المؤمنين ، فو الله إننا لا نفعل : قال عمر على الفور : وماذا أفعل اذا كانت الرحمة قد نزعت من قلوبكم ؟ .. وكان تصرفه الطبيعي عزل هذا الوالي .. وكان جوابه على ذلك التصرف انه لا يقبل بأي حال من الأحوال ان يلي أمور المسلمين واليا يفتقر الى الحنان في تصرفاته .. فاذا كان لا يعطي الحنان لطفل فكيف يسوس أمور المسلمين وقلبه غليظ مملوء بالقسوة .

ان الاسلام لم يقف عند أمر واحد فيما يخص الطفل .. بل هو في نظره كائن حي له الرعاية والعناية .. له الحقوق كلها .. رعاية الطفل واجبة سواء كان في ظل والديه .. في ظل امه .. سواء كان مجهول الاب والأم .. وفي جميع الأحوال يجب ان يحظى بالرعاية .. ويجب ان تتحقق له كافة احتياجاته البدنية والصحية والتربوية والتعليمية .. مع العناية بتربيته عقائديا وخلقيا وسلوكيا .. ان يعرف دينه ويجد في ابويه القدوة الحسنة .. ذلك ليس واجب الاسرة .. ليس واجب الوالدين ولكنه في نفس الوقت واجب على المسئولين في الدولة .. إن حنان الأب مطلوب .. وايضا حنان المسئول مطلوب وواجب اكثر .. لقد سبق الاسلام في رعايته للاطفال اي رعاية اخرى لدول العالم المتحضر بمئات السنين .. وبأكثر دقة منذ أكثر من (١٤) قرنا .. هذه هى عظمة الاسلام وقوته في جميع المجالات .

المرأة العاملة

ظن الغربيون على مدى فترات طويلة ، ان خروج المرأة الى ميدان العمل من ابرز منجزات الحضارة الغربية ـ بل من اهم ما اهدته الى هذا العالم في العصور الاخيرة ـ ومن هنا فانها اخذت تبشر بهذا الانجاز وتدعو اليه .

وبدأت المجتمعات المختلفة في السير على هذا الطريق حتى لا تكون متأخرة وفي الوقت نفسه يعمل المجتمع بكل طاقته بدل ان يعمل بنصفها عن طريق الرجل وحده ـ وبذلك تضيع هذه الطاقات غير العاملة هدرا .

ومضت فترات وبدأت آثار عمل المرأة تظهر عليها وعلى ابنائها وأسرتها ثم على المجتمع كله ـ بدأت الاثار قليلة فلم يلتفت احد اليها ـ ثم اخذت تظهر وتظهر حتى لم تعد تخفى على احد ، وبدأ الناس يعترفون وان كانوا لا يستطيعون ان يستغنوا عن دخل المرأة .

وبدأت الدراسات حول هذا الموضوع تعطينا مؤشرات ..

● مؤشرات خطيرة تحتاج الى اعادة النظر في كل ما كان الغرب يقوله عن حقيقة المساواة بين الرجل والمرأة وعن الحرية المطلوبة للمرأة وعن خروج المرأة الى العمل .

زادت أعباؤها وزادت مشاكلها

للأستاذ / علي القاضي

نعم لقد بدأت المرأة تدفع ثمن الخروج الى العمل غاليا .

- بعض هذا الثمن تدفعه من دمها واعصابها وأمراضها الجسمية والنفسية .
- وبعضه يدفعه اطفالها من زيادة امراضهم الجسمية والنفسية وبالتالي تدفعه هي حين ترى اعباء جديدة قاسية قد اضيفت الى اعبائها .

ـ وبعضه تدفعه الاسرة كلها من وجود هذا الاختلال الذي يؤثر في كل فرد من افرادها ..

ـ ثم يأتي بعد ذلك الثمن الغالي الذي يدفعه المجتمع وبالتالي الحضارة التي تمثله .

زادت أعباء المرأة العاملة وزادت مشاكلها :

نشرت صحيفة الاهرام القاهرية بعددها الصادر في ٣/٤/١٩٧٢ احدث

دراسة للجهاز المركزي للتنظيم والادارة تحت عنوان « المرأة العاملة تدفع ثمن الوظيفة » قالت فيه :

يقول الدكتور حسن توفيق رئيس الجهاز المركزي للتنظيم والادارة ، ان هناك انتقادات وملاحظات على كفاءة تشغيل المرأة ـ فقد دخلت الاعمال المتوفرة في سوق العمل بغض النظر عن مدى ملاءمتها واستعداداتها وقدرتها على العمل ـ وقد أثر ذلك على الكفاءة المنتظرة منها ـ فخروج المرأة للعمل بهذا الشكل لم يصاحبه الاهتمام بتوفير مجموعة من الخدمات الاساسية اللازمة لرعايتها ومساعدتها على التوفيق بين عملها ومسؤولياتها الاساسية .

هناك ملاحظات على تشغيل المرأة وهناك سلبيات ـ ومن واقع خبرة التطبيق في العمل الحكومي والقطاع العام يقول الدكتور حسن توفيق اهم الملاحظات والسلبيات التي تؤثر على كفاءة تشغيل المرأة وتجعلها تدفع ثمن الوظيفة .

وأولى هذه الملاحظات أن دخول المرأة الى بعض الأعمال التي لا تتلاءم مع طبيعتها واستعداداتها وقدراتها جعلت كفاءتها الانتاجية في أداء العمل محدودة .

ويرى الخبراء ان طبيعة المرأة ومسؤولياتها كزوجة وام أثرت على كفاءتها وانتظامها في العمل وعلى درجة تفرغها ذهنيا ومعنويا لمتابعة عملها ـ حتى ان وحدات العمل تشكو من تغيب المرأة وكثرة الاجازات الممنوحة لها ـ كما ان هناك صعوبة تواجه المرأة التي تصل الى المناصب القيادية ـ فالرجل لا يتقبل رئاسة المرأة للعمل فضلا عن عدم نجاح المرأة بالدرجة المرجوه في المنصب الرئاسي .

وفي احدث دراسة قام بها الجهاز المركزي للتنظيم والادارة عن حجم العمال بالنسبة للمرأة في القطاع الحكومي والقطاع العام ـ اتضح ان اجمالي عدد العاملين بالقطاع الحكومي حتى اول يناير سنة ١٩٨٠ بلغ مليونين و١٣٤ الفا ـ من هذا العدد ٢٦٠ الف عاملة بنسبة ١٧٪ تقريبا من اجمالي العاملين .

أما في القطاع العام ـ فقد ثبت ان اجمالي عدد العاملين يبلغ مليونا و١٩٩ الف عامل ـ من هذا العدد ١١٥ الفا ، ٥٥٦ عاملة بنسبة ٦١٪ تقريبا .

وأوضحت الدراسة ان اجمالي عدد العاملات من النساء بالقطاع الحكومي ، قد زاد في أول يناير بمقدار ٧٧٪ عما كان عليه الحال منذ عشرين عاما ـ اي ان زيادة المرأة العاملة في الحكومة والقطاع العام بلغت ٨٠٪ .

وأوضحت الدراسة ان نسبة اجمالي المرأة العاملة التي تشغل الوظائف العليا في اول يناير ١٩٧٨ قد ارتفعت بما يزيد عشرين مرة عما كان عليه الحال في شهر يناير ١٩٦١ ـ ويوجد سيدتان تشغلان منصب وكيل اول وزارة ، ١١ يشغلن منصب وكيل وزارة ـ بينما يوجد ٦٨ موظفة بدرجة مدير عام في اول يناير ١٩٨٠ .

حل المعادلة الصعبة للمرأة العاملة :

ويرى رئيس الجهاز المركزي للتنظيم والادارة انه يجب توفير مجموعة من

الخدمات الاساسية لرعاية المرأة العاملة وتمكينها من التوفيق بين مسؤولياتها تجاه العمل ومسؤولياتها تجاه الاسرة - وينمي من ولائها لجهة عملها ، ويرفع من روحها المعنوية - وبالتالي يؤدي الى زيادة كفاءتها الانتاجية كالتوسع في توفير دور الحضانة بوحدات العمل وتوفير المواصلات لنقل العاملات وتوفير الخدمات التي تتيح للمرأة العاملة القيام بواجباتها الاسرية في وقت وجهد اقل .

الطبيعة السيكلوجية للمرأة :

وعن الطبيعة السيكلوجية للمرأة يقول الدكتور محمود فؤاد استاذ ادارة الاعمال والعلوم السلوكية بجامعة القاهرة ومستشار رئيس الجهاز « ان المرأة تتميز بأنها اكثر حساسية من الرجل - لذلك لا يمكن للمدراء انتقادها دون مراعاة مشاعرها - فهى اكثر قابلية من الرجل لأن تأخذ النقد الموضوعي للعمل على انه موجه لشخصيتها الخاصة وهى اكثر عاطفية - ومع مسؤولياتها المزدوجة في المنزل والعمل فانها تكون اكثر قلقا وتوترا .

ومن هنا فان المرأة العاملة تدفع ثمنا باهظا لكي تلائم بين عملها وأعبائها المنزلية كزوجة وام وربة بيت .

نادى الصداع :

ونشرت صحيفة الاهرام القاهرية بعددها الصادر في ١٩٨٢/٤/٣٠ كلمة عن نادى الصداع قالت فيه « قد تكون المرأة اكثر حساسية من الرجل - وغالبا فان ضغوط المرأة تختلف عن ضغوط الرجل ولكن المهم في متاعب الصداع انه لعبة المرأة » هكذا يقول الدكتور (اندريه براو الييه) استاذ الامراض الباطنية بكلية الطب بجامعة باريس وهو متخصص في امراض الحساسية ورئيس نادى الصداع بباريس ، الذي يضم النسبة الكبرى من أعضائه من النساء ، ويعتبر الصداع من امراض الحساسية ...

واذا كان للصداع خمسة انواع - فان المرأة تتفوق على الرجل في الاصابة بأكثر من اربعة انواع منه - ولعل صداع الميجرين هو اكثر انواع الصداع انتشارا يليه الصداع العصبي والنفسي .

والمرأة تملك العديد من الاسباب لجعل الصداع رفيقا لها وما من امرأة الا وحملت في حقيبة يدها المسكنات والعطور والمناديل كأسلحة للصداع والدموع والجاذبية .

وللصداع مواعيد فهناك صداع الفجر والصباح والظهيرة وصداع المساء

والليل وما بعد منتصف الليل ـ وصداع الفجر سببه ضغط الدم العالي ، وصداع الصباح المبكر هو الميجرين ، وصداع الظهر هو الصداع الذي تسببه الحبوب ، وصداع ما بعد الظهر هو الصداع النفسي .

ومن اسباب الصداع الضوضاء والتلوث والضغوط النفسية والعصبية والعمل الممل والزحام والظلم والاضطهاد .

وصداع الميجرين من بعض اسبابه القرف والملل والاحباط النفسي وهو اسوأ انواع الصداع وأكثرها ايلاما ـ وينصح الدكتور براديليه مرضى الميجرين عندما تصيبهم النوبة أن يلجئوا الى حجرة مظلمة فيها الهدوء والسكينة دون ان يتعرضوا لأية مضايقات .

مرض الطفل المضروب :

لان المرأة مرهقة في العمل فانها لا تستطيع ان تتحمل أبناءها فتلجأ الى ضربهم ضربا قد يكون مبرحا ـ ويتكرر الضرب مع الاطفال وينشأ من ذلك مرض اسمه مرض الطفل المضروب .

وقد نشر الدكتور محمد علي الباز كلمة عن وضع المرأة الاوروبية اليوم في مجلة الامان اللبنانية بعددها الصادر في ٢١ من كانون الاول سنة ١٩٧٩ جاء فيه : « مجلة هيكسان الطبية لعام ١٩٧٨ نشرت في عددها الخامس » انه لا يكاد يوجد مستشفى للأطفال في اوروبا وأمريكا إلا وبه عدة حالات من هؤلاء الاطفال المضروبين ضربا مبرحا من امهاتهم .

وفي سنة ١٩٦٧ دخل المستشفيات البريطانية اكثر من ٦٥٠٠ طفل ضربوا ضربا مبرحا ادى الى وفاة ما يقرب من ٢٠٪ منهم ـ وأصيب الباقون بعاهات جسدية وعقلية مزمنة ـ وقد أصيب مئات منهم بالعمى ـ كما أصيب مئات آخرون بالصمم ـ وفي كل عام يصاب المئات من هؤلاء الاطفال بالعته والتخلف العقلي الشديد والشلل نتيجة الضرب المبرح .

ويتساءل الدكتور « ايلى رئيس أقسام الاطفال في مستشفيات بريستول المتحدة في مدينة بريستول البريطانية : هل هؤلاء الامهات وحوش ؟ وينتهي في مقاله الى ان هؤلاء الامهات يواجهن أزمات نفسية خطيرة ـ ادت بهن الى ضرب اطفالهن ضربا مميتا او مؤديا الى عاهات مستديمة ويقول « ان أغلب هؤلاء الامهات لسن مجرمات بطبيعتهن ـ ولكن وجود الأم بدون زوج واضطرارها للعمل والخروج ثم عودتها مرهقة الى المنزل ، لتواجه الطفل الذي لا يكف عن الصراخ يفقدها اتزانها وعواطفها ... وقد لوحظ ان هؤلاء الامهات يكرهن اولادهن كرها شديدا ـ حيث ينغص هؤلاء الاطفال على امهاتهم حياتهن ـ وقد نشرت الصحف في العام الماضي قصة الشاب والشابة اللذين قاما ببيع طفليهما في امريكا بمائة دولار ـ كما ان كثيرا من الامهات يقمن بتسميم اطفالهن باعطائهم السموم

والعقاقير الخطيرة .

أطفال للبيع :

ونتج عن خروج المرأة للعمل ـ واضطراب اعصابها من الارهاق ومحاولة العيش في مستوى خاص ـ انحراف في الفطرة ادى الى ان تستغنى بعض الاسر عن ابنائها او عن بعضهم وذلك عن طريق البيع لافراد او لمؤسسات تكونت لهذا الغرض .

وقد نشرت مجلة العهد القطرية بعددها الصادر في اول ديسمبر سنة ١٩٨١ دراسة حول هذا الموضوع جاء فيها :

● في أمريكا الجنوبية عشرات من مكاتب التبني مفتوحة لاستقبال الاطفال اليتامى أو المرفوضين من آبائهم وأمهاتهم .

● احدى ممرضات مستشفى للولادة في كولومبيا تقول « ان الاطفال الذين يولدون اصحاء يسأل اهلوهم بوساطة شبكات تهريب الاطفال اذا كانوا يودون بيع اطفالهم فيستريحون من تنشئتهم وتربيتهم .

● في البرازيل تألفت لجنة من الكونجرس البرازيلي لدراسة هذه المشكلة فوجدت اللجنة ان ثلاثة ملايين طفل يعيشون في الملاجىء ودور الايتام دون وجود آباء وأمهات يلجؤون اليهم ـ وهؤلاء الاطفال عرضة للانتقال الى اوربا وامريكا للعيش مع أباء وامهات جدد ـ ووجدت اللجنة ان كثيرا من الامهات الفقيرات يعطين أبناءهن لدور التبني طوعا ـ وغالبا ما ينتهي هؤلاء الصغار الى مجتمعات أوروبية أو كندية أو أمريكية .

● احد قضاة أمريكا اللاتينية علق على هذه المشكلة قائلا « هل من المعقول أن ينتهي مئات ومئات من الأطفال مع عائلات ؟ ويعيشون سعداء ام أنهم يباعون للمختبرات العملية والطبية وتجرى عليهم التجارب » ، القصة لازالت غامضة .

● التاجرة بلمر تعيش في البرازيل وتحمل جنسيتين برازيلية وأمريكية ـ وتحتضن مئات من الاطفال الفقراء الذين سلمتهم امهاتهم طوعا حسب قولها ـ وتقوم بلمر بتلقى طلبات التبنى وتجهز الاوراق الرسمية اللازمة للطفل للسفر مع عائلته الجديدة وتتقاضى بلمر ستة آلاف دولار عن كل طفل ، ويضاف الى هذا المبلغ اتعابها في التربية والرضاعة لمدة شهور ...

السلطات البرازيلية اتهمت هذه السيدة بأنها تتاجر بالعرق الانساني ـ وقامت بمنع عدد من الاطفال البرازيليين المباعين لآباء امريكيين من مغادرة البلاد لان بلمر في نظر السلطات البرازيلية مبتزة وتجنى ارباحا طائلة من تجارتها باللحم الآدمى .

وهكذا اصبح الانسان سلعة تباع وتشترى ، تحت اسم شعار أو آخر ، وهذا ما وصلت اليه الحضارة الغربية .

الإسلام من مركز القوة

للدكتور / محمود محمد عمارة

كان انتصار المسلمين في بدر نقطة تحول في تاريخ الاسلام قضى الله تعالى به على اهمية العدد والعدة في غيبة الايمان .. وكان الظن أنهما أساس الانتصار .. في الوقت الذي برزت أهمية العقيدة المسلحة بالقوة .. على نحو قلب حسابات العدو .. وحطم مقاييسه في وزن أقدار الرجال ..

والتنبؤ بنتائج الحروب .

ومع ان الانتصار في معركة بدر كان حاسما .. إلا أن الأمر بالاعداد للجهاد مازال مستمرا .. بينما دماء المشركين لا تزال ساخنة عبر الصحراء .

جاء ذلك في قول الحق سبحانه وتعالى بعد بيان احداث الغزوة في سورة الأنفال :

(ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون . وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون . وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين) الأنفال/ ٥٩ الى ٦٢ .

والآيات الكريمة تطالعنا بالحقائق الآتية :

١ ـ قد يحرز العدو تقدما في مجال الدعاية .. ومن الناحية العسكرية قد يكسب نصرا خاطفا فيحسب انه سبق في المضمار سبقا يدل به عليكم ويزهو ..

ولكن ذلك ظن خاطيء ..
فتجربة الأمس تفند هذا الزعم ..
إن من ورائه قوة قادرة محيطة من جند الحق سبحانه الذين إن فاتهم مجاراته في حملة التضليل .. فما فاتهم أن يتركوه على الساحة أشلاء .. ولم يُعجز جندَ الحق يومئذ هربا .

٢ ـ وحتى يظل زمام المبادرة في ايدي المؤمنين .. فلابد من الاستمرار في اعداد القوة جهد الطاقة .. ليبقى المسلمون في اذهان اعدائهم قوة مخيفة تشل حركتهم .. وتلزمهم التريث قبل كل خطة يدبرونها .. أو شر يبيتونه ومن ورائهم قوى عالمية تمدهم في الغي وتزين لهم العدوان ..

إن العدو المباشر واجهة تخفي نوايا حاقدة تتربص بالاسلام الدوائر .. ولابد أن يكون الديدبان يقظا .. مسلحا بالوعي .. والقوة .

٣ ـ وهذه المسؤولية الكبرى تفرض على كل انسان في الدولة أن يسهم في المعركة مهما كان وضعه المالي ..
لأن العدو يستهدف الدين .. وهو حياة الجميع .. فلابد حينئذ من ان يظل شملهم جميعا .. وعلى ارتباط وثيق بالمعركة التي لا تغيب عن بالهم .. بكل صورة من صور البذل .
(وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون) الأنفال/ ٦٠ .

٤ ـ اذا نبتت فكرة السلام في أذهان الأعداء ودعوكم هم اليها فلا جناح عليكم في قبول سلام تتحقق به إرادة الاسلام له .. لأنه حينئذ يجيء من مركز القوة . قوتكم أنتم التي ملأت

أعين الأعداء فسعوا إليكم طائعين ..
أما السلام المرفوض فهو ذلك الذي تدعون أنتم اليه من واقع الضعف والتخلف .. على ما يقول سبحانه وتعالى :

(فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم) محمد/ ٣٥ .

إن سلاما من هذا النوع يصبح استسلاما يأباه وضعكم القيادي الذي حصلتموه بمشيئة الله سبحانه .. والايمان به ..

على أن تذكروا جيدا أن رغبة الأعداء في المعايشة السلمية مشكوك فيها على ما يفيده حرف الشرط **(ان .. جنحوا)** .

انه « جنوح » أي ميل .. بالرأس قد يكون خداعا بينما أقدامهم متشبثة بعقائدهم ومكائدهم .. فكونوا منهم على حذر ..

ثم كونوا أشد حذرا من الاعتماد على قوتكم المرصودة .. وتوكلوا على الله وحده ..

(وتوكل على الله)

ان القوة ليست في نوعية السلاح .. بقدر ما هي في يد تحمله .. يحبها الله ورسوله ويبقى ألا تنسينا أفراح النصر واجب الاعداد المستمر لمعركة مستمرة بين الحق والباطل .. ولن تضع أوزارها مادامت هناك حياة ..

من صور الاعداد للمعركة :

كل كلمة .. كل حركة .. كل جهد مبذول من أجل المعركة .. محسوب بميزان الحق الذي لا يظلم مثقال ذرة ..

قال تعالى :

(ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) التوبة/ ١٢٠ ـ ١٢١

اي ان الرصاصة الواحدة .. التي تنطلق في سبيل الله .. تفتح ابواب الرضوان امام كل يد شاركت فيها اعدادا .. وتنفيذا ..

على شرط ان يتم ذلك استجابة لبواعث الخير .. واستهدافا لاعلاء كلمة الله .

اي ان السلاح في الاسلام للتعمير لا للتدمير .. وحين يشرعه المسلم في وجه عدو الله وعدوه فمن أجل ارهابه وكف يده حتى لا تمتد بأذى .. حفاظا على الدماء ان تراق .. مهما كانت عقيدة الانسان ..

وقد كانت استجابة المسلمين للاعداد صادقة .

كان « عروة البارقي » يملك وحده سبعين فرسا معدة كلها للقتال .

وبصور معي ذلك الجهد الموصول في رعاية هذا العدد من الخيل .. والذي يشغل الرجل واهله .. وولده .. وتساءل معي : كم يبقى من عمر هذه الأسرة . تنفقه في ملذات الحياة ؟!
لا ريب ان المعركة ملأت حياتها الى حد لم يعد في حياتها وقت للهو او لعب .. حتى لغلمان لابد لهم من اللهو واللعب .

حتى الخيل نفسها تندمج في الدور .. وتصبح ملاقاة العدو ايضا شغلها الشاغل ! :

فعن معاوية بن خديج :

انه مر على أبي ذر وهو قائم على فرس له .
فسأله :

ماذا تعالج من فرسك هذا ؟

فقال :

اني اظن ان هذا الفرس قد استجيب له
قلت :
وما دعاء بهيمة من البهائم ؟
قال :

والذي نفسي بيده .. ما من فرس الا وهو يدعو كل سحر فيقول :

اللهم .. انك خولتني عبدا من عبادك .. وجعلت رزقي بيده .. فاجعلني احب اليه من اهله وماله وولده ..

فانظر كيف كانت امنية الفرس .. ان يظل في وعي صاحبه ركوبا في معركة الحق .. والا يشغل عنه بما يخلد به الى الأرض من مال واهل وولد ..

انه التدبير الالهي اذن .. يجعل من البيئة الاسلامية معسكرا تدريبيا يوحي كله بالجهاد والاعداد .. الى حد يجعل من تعلم الرمي عبادة يتقرب بها العبد الى ربه .. بحيث لو نسى الرمي يوما كان ذلك معصية ينبغي التوبة منها بالرجوع الى اجادتها والتدريب عليها .. يقول صلى الله عليه وسلم :

(من ترك الرمي بعد ما تعلمه رغبة عنه .. فانها نعمة كفرها) .
رواه الطبراني في الكبير
على ان يتم ذلك في حدود الاستطاعة البشرية .. وتبقى نتيجة المعركة بعد ذلك الى الله وحده .

ولا يفوتنا ونحن نواجه موقف ابي ذر ان ننبه الى جانب من حياته العملية اعدادا للمعركة ..

لقد جرت آراؤه في الاصلاح الاجتماعي على السنة تجيد تردادها ..

ثم لا تقدم للمعركة من جهدها شيئا مذكورا ..

انها فقط تتمسح بآرائه .. ثم تتناسى واقعه العملي الشاهد على انه كان يعمل اولا ثم يقول ثانيا .. لم يكن يركب (الخيل المسومة) من طراز القرن العشرين .. ولم يكن يلبس الخاتم الذي يكفي لاطعام آلاف المساكين .. لكنه كان مع الخيل المسومة خادما .. وراعيا .. اعدادا لنفسه كمجاهد في سبيل الحق سبحانه .. يجعل من آلام البشر شعورا يجيش به فؤاده .. لا شعارا براقا يسيل على الورق حبرا ..

او ينبعث من المذياع حديثا يروى !!

يَرفَعُ النّورَ الذي لا يراهُ أقوام

محمد موزن

للشيخ / معوض عوض ابراهيم

كثيرون مثلي لا يدرون دوافع الذين ينقمون من غيرهم ما كان ينبغي ان يقولوه هم بألسنتهم عن يقين ، أو أن تسطره اقلامهم هم منصفين الدين الذي امتن الله تعالى به على المؤمنين بخاصة ، وعلى البشرية بأسرها ، وعلى الحياة التي استوعب الاسلام - باعتباره الدين الخاتم - جوانبها ، وقدم لها من توجيهاته وأحكامه مالا يعوزها من بعده إلى سواه ، فقال تعالى : « **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** » المائدة / ٣ .

ولقد استبحر العلم واتسعت آفاقه ، وحصل اقوام على مؤهلات علمية عليا من هنا وهناك ، كنا نود أن نجعلهم امتدادا صالحا للذين قال الله فيهم .. « **ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد** » سورة سبأ / ٦

وكنا نود ألا يبقى في أوساط المتعلمين .. في الأقل .. من يضيق ذرعه ويكاد يطيش صوابه ، ان يقول غيره في الحق بالحق ، وأن تسلم مشاعرهم ، ويصح تصورهم للأشياء ، فتهش قلوبهم لمن يذكرون المحاسن بالحسنى ، ولا يرون النور إلا نورا لا تداخله ظلمة ، ولا يدانيه غبش ، ولا يخفي على ذى بصيرة إن الأسوياء لا يذيبون عقولهم في عقول غيرهم ، ولا يغمضون أعينهم ليبصر لهم سواهم ، وهم إن فعلوا ذلك ينزلون بأنفسهم الى مدى لا تكون فيه

أقلامهم منائر ومشاعل تستهدف الصواب وتتفيأه ، ولكنها تكون معاول تخريب للقيم والأعراف الصالحة ومواريث أمتهم الماجدة ، وفي القمة منها « الدين » الذي رضيه سبحانه لهم ..

واصحاب هذه العقول المعقولة عن الهدى ، تجانب أقلامهم الصواب ، ويكون حال الاسلام معهم كحال الذي ذكر بغى قومه وعدوانهم فقال :

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به
وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

إن ناسا من وراء الحدود رأوا نور الاسلام ، وكانوا شيوعيين ونصارى ، فمضوا بهذا النور الى اعتناق الاسلام باقتناع ، طارحين وراء الظهور تبعياتهم لفلسفات فكرية واجتماعية ، جاعلين دبر الآذان ما رددوا من آثار النصرانية التي لا تصلها بعيسى عليه السلام واصلة ، ولا تبدو شيئا في ضوء الاسلام الجامع المهيمن !

وليس الاستاذ الدكتور رجاء جارودي هو اول الذين انصفوا الاسلام ، فقال فيه بقدر ما عرف ، بعد ان استثمر ببصر واخلاص ما انتج له من دراسات عن الاسلام ، وجاء الى الكويت بدعوة من وزارة الاعلام وحاضر في قاعتها الكبرى ، وحاول بعض المثقفين ان يجروا فكر الرجل في مجاريهم ، وان يصرفوه عن منهجه الذي استيقنه وصارح به ورد على الذين سألوه : هل يمكن أن يتواءم الاسلام والاشتراكية ؟!

فقال بكل ثقة العلم وقوة الحق ، وعمق اليقين « لا اثنينية في الاسلام » وانها لكلمة تزلف من الحقيقة أسفارا .

وذهب الجارودي الى القاهرة .. عاصمة الأزهر .. وأسهم في عيده الألفي وحاضر في قاعة الشيخ محمد عبده ، وحاور أمثال الذين استهدفوه ههنا فعادوا بصفقة المغبون التي منى بها ههنا كثيرون .

وحظى الرجل باعجاب الذين ينصفون في مختلف بلاد الاسلام ، ونشرت جرائد السعودية ومجلاتها من عبارات الاشادة بالاستاذ ما هو أحق به وأهله ، وهأنذا اطالع جريدة « اخبار العالم الاسلامي » احدى منشورات رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة « العدد ١٩/٨٢٥ من رجب ١٤٠٣هـ » فأجد كلاما عن جارودي ، ونشأته بين أبوين ألحدا بعد أن كانا نصرانيين ، وانه نظر في النصرانية فلم ترو غليله ، واعتنق الشيوعية فكانت أردأ وأدنى وبحث عن الدين الذي يصل الأرض بالسماء ، ووجد الاسلام كما قال .. وكان مر الأيام يجلو له الاسلام ، الذي ألف عنه كتابا اهداه لبابا روما في إحدى لقاءاته اخيرا .. وقال عن النبي صلى الله عليه وسلم :

إن محمدا صلى الله عليه وسلم في نظري ربط الأرض بالسماء ، انه نبي وقاضي ورجل دولة من طراز فريد ، والنبي أجل - لا ريب - واكبر ، ولكنها كلمة تذكر وتؤثر وقال « لقد حققت باعتناقي الاسلام ، حلم حياتي ، عندما كنت في العشرين من عمري ،

وانني اشعر بأنني امسكت بالسلسلة من طرفيها ، وهما الايمان بالله ، والايمان بالمجتمع الانساني » .

واعلن جارودي انه سوف يشترك في البرنامج الديني ، الذي خصصته الاذاعة والتلفزيون الفرنسية اسبوعيا ، ببرنامج يقدم به مفهومه الحقيقي عن الاسلام والمسيحية !!

ان الرجل يتكلم ، ونحن مأمورون بأن نحكم بظواهر الناس وألا نشق عن سرائرهم ، ونياتهم ، التي هي في مناط علم الله وحده ، فكيف تتشقق مآثر أقوام لمجرد اعزاز الرجل للاسلام ؟! انه لو هاجم هو او غيره من عمى البصائر هذا الاسلام لصبفقت له تلك الايدي ، ولدبجت له الاقلام المدائح نثرا وشعرا واهازيج ، ولقالوا : إنه العبقرية التي لم تسبق ولن تلحق !!

وما كان الدكتور جارودي اول منصف للاسلام ، ولن يكون آخر عارف به ، مقبل عليه ، بكل ما يملك من وعي ، فقد حفل كتاب « الأبطال » لكارليل الانجليزي النصراني بمواقف ذوات عدد فيها الاشادة بالاسلام وأثره في العرب الذين لولا الاسلام لهلكوا في مواقعهم دون ان تصنع لهم « العروبة » أيسر ما صنع الاسلام والقرآن !!

قال تعالى « **لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون** » الانبياء/ ١٠ . وقال « **وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون** » الزخرف/ ٤٤ . وغير كارليل وكتابه « الابطال » كتب ورجال وأقوال قالت في الاسلام : وستقول ، وتؤمن به ، « فللحق المصير » وكان الله في عون الذين يجادلون في الحق بعد ما تبين ، وتتمعر وجوههم ، وتغص حلوقهم ولا ندري ماذا تنتهي اليه مضاعفات سماعهم الحق عن الاسلام من جارودي وغيره ممن يرون الاسلام دين العالم ، ويرونه ، دون غيره من القوميات والوطنيات ، طوق النجاة من ضلال الحياة الذي يتراءى لكل ذى عين

والحق أبلج لا تزيغ سبيله
والحق يعرفه أولو الألباب

« **قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ** » الأنعام/ ١٠٤ .

وبعد فان ما لا ندريه من دوافع الذين ينقمون من جارودي وغيره حديثهم البر عن الاسلام ، سيبدو عما قليل « فما فيك يظهر على فيك » !

ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

والاسلام بحقائقه واصالته متألق صاعد صامد ، يفيد منه الذين يتعرفون عليه بانصاف ، ويفيئون الى ساحته عن رضا وارتياح ، دون ان يردهم عن موارده راد ، او يصدهم صاد لأنهم كانوا شيوعيين او كانوا يهودا او نصارى .. وهل كان صحابة رسول الله الا مشركين ونصارى ويهودا فصاروا بالاسلام ـ لا بعبد شمس ونوفل وغيرهم ـ « خير أمة أخرجت للناس » ؟!

السياسة الخارجية لدولة الرسول صلى الله عليه وسلم

للأستاذ / علي السيد فايد

المتأمل في هذا الموضوع الواسع الذي يروج ويحفل بالعبقرية الفياضة والحكمة في التخطيط والروعة والدقة في التنفيذ والمطلع على التاريخ السياسي للدولة الاسلامية يلمس ذلك عن كثب ويحس أيضا بالقيم الاسلامية السامية التي حرص عليها الرسول صلى الله عليه وسلم بادىء ذي بدء في تأسيسة للدولة الاسلامية الشامخة في ظلال العدل والمساواة والشورى والاخاء والحب والسلام .

ولو نظرنا إلى خريطة السياسة الخارجية لدولة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة للحظنا تشعب ميادينها وامتداد مجالاتها وكثرة أحداثها الجليلة التي يخر لها التاريخ ساجدا وفي مقالي هذا أحاول جاهدا الاحاطة بهذا الميدان الواسع الفسيح فكل عنصر من عناصر الموضوع لا يكفيه مؤلف بأكمله ولكن أحاول جاهدا عرض الأحداث التاريخية من الوجهة السياسية لتكون لنا نبراسا يهتدى به عالم يتخبط في ظلمات الجهل والضلال .

أولا : موقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قريش :

ثانيا : سياسة الرسول تجاه اليهود داخل المدينة وخارجها .

ثالثا : سياسة الرسول تجاه منافقي الأوس والخزرج .

رابعا : توجيه الدعوة الاسلامية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها

وكل هذه السياسات والميادين كانت تجرى بخطوط متوازية أي انها كانت في فترة تاريخية واحدة فكل الأحداث والغزوات مرتبطة بعضها ببعض ففي الوقت الذي طرد الرسول يهود بني قينقاع كان قد أنتهى من غزوة أحد ٣ هـ ودخل في غزوة الأحزاب ٥ هـ ثم تتوالى الأحداث في سبيل نشر الدين الاسلامي في داخل وخارج شبه الجزيرةحتى تنتهي سياسة الرسول الكريم تجاه قريش

حتى صلح الحديبية ٦ هـ .
أ ـ خارج شبه الجزيرة العربية :
لقد اتاحت المعاهدة التي بين الرسول وقريش (صلح الحديبية) فرصة التفرغ لنشر الدعوة الاسلامية في فترة الهدنة بين قريش والمسلمين فجهز الرسول صلى الله عليه وسلم ست كتب وبعث كل كتاب مع وفد أو رسول من طرفه إلى الدول الآتية :

١ ـ الرسالة الأولى إلى نجاشي الحبشة :

وكان أول رسول وجهه رسول الله هو عمرو بن أمية بعثه إلى النجاشي وزوده بكتابين إليه أحدهما : يدعوه فيه إلى الاسلام ويتلو عليه القرآن وثانيهما : يطلب منه أن يبعث بمن قبله من المسلمين أي وفد المهاجرين الذين هاجروا إلى الحبشة ، ويزوجه أم حبيب أي يتزوجها الرسول لأن زوجها توفى في المعركة (أم حبيب بنت أبي سفيان) .
ويذكر ابن سعد في طبقاته : أن النجاشي دخل الاسلام وأهدى أم حبيب للرسول ودفع الصداق أيضا ورد المهاجرين إلى المدينة .

٢ ـ الرسالة الثانية إلى هرقل قيصر الروم :

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الكلبى إلى هرقل قيصر الروم يدعوه إلى الاسلام وأرسل معه كتابا وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليرسله إلى قيصر فرد هرقل ردا جميلا **(ورد في تاريخ اليعقوبي)** .
(من هرقل الروم إلى أحمد الذي بشر به عيسى إنه جاءني كتابك مع رسولك وإني أشهد أنك رسول الله أجدك عندنا في الانجيل وبشربك عيسى ابن مريم ودعوت الروم إن يؤمنوا بك ولو أطاعوني لكان خيرا لهم،وددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك) .

٣ ـ الرسالة والكتاب الثالث إلى كسرى فارس :

لما اطلع كسرى على كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم مزقه على الفور ويقال إن الرسول لما علم بذلك قال « اللهم مزق ملكه » .

٤ ـ الكتاب الرابع إلى مقوقس مصر :

وجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس حاكم مصر من قبل الروم كتابا مع حاطب بن أبي بلتعة يدعوه فيه إلى الاسلام فرد المقوقس ردا جميلا .
قال ابن سعد في طبقاته رد مقوقس مصر بكتاب نصه :
(قد علمت أن نبيا قد بقى وكنت أظن أنه يخرج من الشام وقد اكرمت رسولك وقد أرسلت جاريتين لهما مكان عظيم ـ منهما مارية القبطية التي تزوجها الرسول ـ وقد أهديتك كسوة ...) .
فقبل الرسول هدية مقوقس مصر .

٥ ـ الكتاب الخامس إلى أمير غسان :

فرد ردا قبيحا على رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعث الرسول كتابا إلى اليمامة وأميرها فلم يجب دعوة الرسول إلى الدخول في الاسلام .

وبعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى بعض امراء اليمن يدعوهم إلى الاسلام وأمرهم أن يؤدوا الصدقة والجزية فأجابوا الرسول باسلامهم ودخولهم في طاعته .

٦ ـ الكتاب السادس إلى أمير بصرى :

رواية ابن الآثير تقول : (إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى صاحب بصرى فلما نزل مؤتة وهى قرية من قرى البلقاء في الشام اعترضه شرحبيل بن عمر الغساني أحد أمراء الغساسنة فأوثقه رباطا ثم قدم فضرب عنقه) وكان قتله سببا في اعداد الجيش الذي سيره النبي صلى الله عليه وسلم إلى مؤتة ٨ هـ وكان هذا سببا في غزوة مؤتة للانتقام من مقتل الرسول الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم .

غزوة مؤتة عام ٨ هـ :

وجه الرسول في هذا العام قوة كبيرة من المسلمين تبلغ ثلاثة آلاف وأسند رئاستها إلى مولاه زيد بن حارثة الكلبي لكن هذه القوة فوجئت بقوة رومية يبلغ تعدادها قرابة المائة ألف

كان ذلك أول أشتباك جرى بين المسلمين وبين الغساسنة والروم وترجع أهميته إلى أنه أول تجربة حربية تجتازها الدولة الاسلامية على مستوى دولي ، وإن انتهت موقعة مؤتة بهزيمة جيش المسلمين فقد أعتبرها الرسول جولة تعقبها كرة ، فضلا عن أنها كانت اختبارا لقوة المسلمين ترتب عليه دخول عدد كبير من القبائل العربية الضاربة في شمال شبه الجزيرة في الاسلام على أن قريشا اعتبرت مؤتة هزيمة للمسلمين وضعفا لسلطانهم وبداية لسلسلة من الهزائم لهم ، ومن ثم عزموا على اعادة الأمور إلى مثل ما كانت عليه قبل صلح (الحديبية) وذلك بنقض الصلح الذي بينها وبين المسلمين .

بيان براءة وعام الوفود :

نزلت سورة التوبة وفيها إعلان براءة قبل حجة الوداع .

بسم الله الرحمن الرحيم

(براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين.فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين.و أذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم ...) سورة التوبة (١ ـ ٩) .

وجه الرسول صلى الله عليه وسلم

إلى المشركين في موسم الحج سنة ٩ هـ بيانا وكان هذا البيان وحيا جاء في سورة التوبة (١ ـ ٩) التي بدأت بكلمة براءة فسمى هذا البيان بيان براءة وورد أن الرسول الكريم عهد إلى علي بن أبي طالب ليذيع البيان على قريش (٩ هـ) لأنه هو الذي عاهد المشركين نيابة عنه وقال له « اخرج بهذه القصة من صدر براءة (سورة التوبة) وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى : ألا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له مدته » ـ وتضمن بيان براءة النقاط الآتية :

أولا : إعطاء مهلة أربعة شهور للمشركين ليفكروا فيها فاما أن يدخلوا حظيرة الاسلام أو يعتبروا خارجين عن نطاق الاسلام .

ثانيا : القبائل العربية التي بينها وبين الرسول حلف مادامت توفى الحلف وتحافظ عليه ينتظر الرسول حتى تنتهي مدة الحلف وبعد ذلك لا يجدد الحلف وتخضع لشروط بيان براءة .

ثالثا : حرمت مكة بالذات على المشركين فلا يدخلونها للحج وأصبح الحج فريضة على المسلمين دون المشركين .

رابعا : أهل الذمة (اليهود والنصارى) اما أن يدخلوا الاسلام أو يدفعوا الجزية ولهم بعد ذلك حرمة المسلمين وحقوقهم وكان رد الفعل على هذا البيان بشروطه أن أرسلت كل قبيلة مازالت على دين الوثنية وفودها وكل وفد يمثل القبيلة ويعبر بلسانها جاءوا يحالفون النبي على دخولهم الاسلام وانضمامهم إلى حظيرة الدولة الاسلامية . فبعث الرسول مع كل وفد جماعة من القراء ليعلموهم علوم الدين ويتلوا عليهم القرآن الكريم .

وأرسل الرسول عمالا للصدقات متخصصين في جمع الصدقات واعتبروا مندوبين عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينته العام التاسع والعاشر إلا وقد أسلمت كل الوفود وسمى ذلك عام الوفود ما عدا مملكتي الحيرة والغساسنة بما فيها اليمن فلم تدخل في الاسلام وبذلك انتهى نشر الدين الاسلامي داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها .

السياسة الخارجية لدولة الرسول في المدينة

تتضح سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود من وثيقة (الأمان) التي عقدها في مجتمع المدينة بين المسلمين (مهاجرين وأنصارا) وبين أهل الذمة (يهودا ونصارى) اتفقوا على :

أ ـ ان المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب ومن لحقهم أمة واحدة ويتضح ذلك من هذه الفقرة « إنهم أمة واحدة من دون الناس »[1] .

ب ـ تقرير حرية الاعتقاد الديني لأهل

الذمة والحرية لهم في إقامة شعائرهم الدينية ماداموا يحافظون على عهودهم ولا يتعرضون بأذى للمسلمين « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم » .

جـ ـ يبين الكتاب ما يتبع في الحرب التي تقع بين المسلمين في المدينة وأعدائهم خارجها يقرر أن كل جماعة تنفق على نفسها وعليها أن تحمي المدينة فيقول « وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة » .

ويتضح من شروط وثيقة الأمان أن الرسول بدأ بترتيب أوضاع المدينة في مواجهة الخطر الذي تمثله القوى المتربصة خارج المدينة وكانت ردة فعل اليهود تجاه سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم نقضوا عهدهم واستعملوا سلاح الخديعة والوقيعة بين الأوس والخزرج ثم تحريض قريش ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونددوا بحادثة عبدالله بن جحش في (سرية تحلة) وقالوا أصحاب محمد يقتلون الناس في الأشهر الحرم وأخذوا يحرضون عليه القبائل .

وبعد انتصار المسلمين في بدر حاولوا أن يقللوا من ذا الانتصار فأرسلوا الى الرسول سادتهم وكبراءهم من بني قينقاع يقولون « لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة أما والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس » .

وتعدى يهود بني قينقاع على امرأة مسلمة وقتلوا رجلا مسلما دافع عنها ، فنقضوا بذلك عهدهم مع الرسول فحاصرهم خمسة عشر يوما حتى نزلوا على حكمه الذي تضمن أن تكون أموالهم وأملاكهم للمسلمين وأولادهم ونساؤهم لهم ورحلوا عن المدينة ونزلوا إلى « اذرعات » بالشام .

أما يهود بني النضير فقد حاولوا قتل الرسول حين قدم إليهم ليعاونوه على دفع دية بصفتهم متحالفين معه ولكن الله أطلعه على مكرهم ، ونجاه منهم ، فغادرهم واصحابه ثم بعث إليهم رسول الله أن اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشرا فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه .

وقد عزموا على الخروج فعلا لولا أن عبدالله بن أبي بن سلول اغراهم بالبقاء في حصونهم على أن ينصرهم ضد محمد وأصحابه ، فأرسلوا الى رسول الله : إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدالك .

فحاصرهم الرسول حتى نزلوا على حكمه وأجلوا عن المدينة إلى خيبر ومنهم من رحل الى الشام حملوا ما تستطيع ابلهم من أولادهم وعتادهم فكانت مدة حصارهم خمسة عشر يوما وأنزل الله فيهم قوله « **هو الذي أخرج الذين كفروا من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا**

وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار » سورة الحشر الآية (٣،٢) .

أما يهود بني قريظة فنقضوا عهد رسول الله في أحرج الأوقات وأشدها فتآمروا مع الأحزاب الذين جاؤوا لحصار المدينة فبعد أن رحلت الأحزاب تجر أذيال الخيبة والهزيمة اتجه الرسول إلى بني قريظة امتثالا لأمر الله الذي نزل به جبريل قائلا للرسول « إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة » فكان لابد أن يأخذوا العقاب الذي يستحقونه إزاء خيانتهم البشعة للاسلام والمسلمين فحاصر المسلمون قريظة خمس عشرة ليلة ولم يروا بدا من الاستسلام والتمسوا أن يسمح لهم الرسول بالجلاء عن المدينة مثل بني النضير فأبى الرسول وأصر أن ينزلوا على حكم من يرتضونه حكما فرضوا أن يكون الحكم بينهم سعد بن معاذ فحكم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى النساء والذراري .

اليهود خارج المدينة :

(يهود خيبر وفدك وأم القرى وتيماء ٧ هـ)

أتاحت الهدنة بين المسلمين وقريش التي كانت من شروط صلح الحديبية فرصة ليفرغ المسلمون تماما للقضاء على اليهود خارج المدينة والقضاء على كيدهم وخطرهم في شمال المدينة خيبر وأم القرى وفدك وتيماء .

فبعد عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية رأى أن يهاجم اليهود في خيبر الذين يتوقع خطرهم على المدينة ولصلتهم الوثيقة بيهود بني النضير وبني قريظة فاجتمع في ألف وأربعمائة مقاتل من المسلمين وهجم على اليهود في خيبر فحقنوا دماءهم بالاستسلام على أن يظلوا في الأرض ويزرعوها مناصفة بينهم وبين المسلمين .

ولما علم يهود فدك بالمعاملة الحسنة ليهود خيبر أعلنوا استسلامهم وحقنوا دماءهم وتعاهدوا على منح المسلمين نصف غلال الأرض التي يزرعونها ثم عرج الرسول على وادي القرى وفتحها عنوة بعد امتناعها عن الدخول في الاسلام أما يهود تيماء فقبلوا دفع الجزية له بدون قتال وبذلك تم خضوع اليهود في شبه الجزيرة تماما .

سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه قريش :

بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة لم تهدأ ثائرة قريش فلم يتركوا المسلمين في أمان بل كانوا يسعون دائما إلى اعادة المكيين الذين هاجروا مع النبي الى مكة ويتحرشون

بالمسلمين وتتضح سياسة الرسول تجاههم في أحد بنود وثيقة الأمان التي عقدها بين الذميين والمسلمين في المدينة وهو الايجير مسلم ولا مشرك بالمدينة مالا أو نفسا لقريش .

وفضلا عن ذلك تحالف مع القبائل الممتدة من مكة الى المدينة على عدم مرور قوافل قريش التجارية من أمامها ثم تأتي سياسة الرسول مع قريش متمثلة في مرحلتين .

المرحلة الأولى : المرحلة الاستطلاعية :

أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم ما يقرب من ست سرايا استطلاعية أشهرها سرية « نخلة » ولم يحدث أي اشتباك دموي في هذه المرحلة فكانت أشبه بالسياسة السلمية وأقرب منها الى الحرب .

وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم عبدالله بن جحش على رأس (سرية نخلة) وكلفه استطلاع قافلة لقريش تأتي من الشام الى مكة واعطاه رسالة لا يفتحها إلا بعد مسيرة يومين فقال له فيما معناه « اذا نظرت في كتابي هذا فسر حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فتريث واعلم لنا من أخبارها » .

وأثناء سيرهم قابلتهم قافلة في آخر رجب من الأشهر الحرم ووقعوا بين أمرين اما أن يقاتلوهم ويهتكوا حرمة الأشهر الحرم وإما أن يتركوهم فينجوا ويحتموا بقوافلهم منهم بحرمة

الأشهر الحرم وانقسمت السرية تبعا لذلك فريقين وانتصر أصحاب الأمر الأول وهجموا على القافلة وقتلوا أصحابها وقفلوا راجعين بالغنيمة إلى رسول الله فعنفهم رسول الله لهذا الحدث وأنكر هذا الاعتداء وقال لهم « ما أمرتكم بقتال ... » وعنفهم إخوانهم المسلمون وأوقفوا عير هذه القافلة وأموالها ولم يأخذوا منها شيئا .

اتخذت قريش هذه الحادثة ذريعة للتشنيع بين القبائل بأن محمدا وأصحابه يقاتلون في الأشهر الحرم فأنزل الله تعالى قوله : « **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله** » سورة البقرة ، آية ٢١٧ .

وتعتبر سرية نخلة بذلك نقطة تحول من السياسة السلمية الى الغزوات وتعتبر السبب المباشر في غزوة بدر ١٧ رمضان ٢ هـ .

ويقول العلامة المحقق / أحمد تيمور باشا في كتابه « محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » (سبق غزوة بدر الكبرى ٢ هـ غزوتا العشيرة وبدر الأولى ففي غزوة العشيرة خرج الرسول على رأس ١٥٠ مقاتل لاعتراض قافلة تجارية بقيادة أبي

سفيان بن حرب ولم يحدث فيها قتال والثانية « بدر الأولى » وتسمى غزوة سنوان خرج الرسول في طلب كرز بن جابر الفهرى لأنه أغار على سرح للمدينة ولم يكن قتال لفرار كرز بن جابر الفهرى) .

الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة سياسية وخلقية :

وبعد فاني أردت بعد هذا العرض السابق أن نقف على قبس من أخلاق أعظم معلم في الوجود (محمد رسول الله) فلعلنا نتعلم منه كيف ندعو الى الله ؟ ولعل دعاة الفكر ورجال السياسة يتعلمون منه ويسيرون على نهجه المستقيم وطريقه القويم « **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » الأحزاب/٢١ ولعلنا ندرك فيما عرضناه آنفا بعض مواطن العبقرية الفذة في شخصية الرسول :

ولاشك أنك تتفق معي في أن الاقتداء برسول الله سياسيا لا يقل أهمية عن الاقتداء به أخلاقيا فنحن بحاجة ماسة إلى الاقتداء به في كل ما يصدر عنه من قول وفعل وتقرير فمنهج الله كل متكامل لحركة الفرد والمجتمع .

أولا : لقد كان يعرف قدر نفسه تماما فلا يضع احتمالات ويقدر امكانيات تفوق طاقته وطاقة انصاره ويتضح ذلك من سيرته عامة فلقد بدأ الدعوة الاسلامية سرا وجهر بها في الوقت المناسب بعد تعزيز مكانته وتكوين أنصار لدعوته ثم رأى عدم نجاح

الدعوة في مكة فهاجر إلى المدينة بايحاء وهداية من الله فكانت تربة خصبة لنجاح الدعوة ونموها ، ثم أهتم أول ما أهتم بتأسيس مجتمع المدينة من الداخل وتمثل ذلك في بناء المسجد وعقد المعاهدات بين الفئات المختلفة (وثيقة الآمان) ثم أزال العداوة القديمة بين الأوس والخزرج ونلمس مدى الحنكة والعبقرية السياسية والدبلوماسية أيضا في امهاله للفئات المعادية للاسلام داخل مجتمع المدينة (اليهود والنصارى والمنافقين) لكي لا ينشغل بالخلافات الداخلية التي تهدد دولته الناشئة حتى قويت شوكته وتدعمت اركان دولته .

ثم تحين التوقيت المناسب في فتح مكة ولم يحاول اخضاعها بالقوة والعنف .

ثانيا : إن اختيار الرسول التوقيت المناسب في نشر الدعوة خارج المدينة وخارج نطاق شبه الجزيرة العربية المتمثلة في رسائله للأمراء والملوك والمواقف السياسية السابقة الذكر تصور لنا جانبا من الدبلوماسية الناجحة التي اتبعها الرسول الكريم .

ثالثا : ولقد اتضحت روح القيادة دون سيطرة أو تسلط في شخصية الرسول ولولا هذه الروح ما اجتمع حوله العرب وغير العرب ودانت له .

عيد الفطر

عيد الشعور بالحرية

للدكتور/عبد الله بن عبد القادر بلفقيه الحسيني

لكل أمة عيد تظهر فيه زينتها ، وتعلن سرورها وتسرى عن نفسها ما يصيبها من مشاق الحياة ، فالأعياد عند الأمم سنة فطرية جبل الناس عليها وعرفوها ، وفكروا فيها منذ عرفوا الاجتماع .

وان الباعث على اتخاذ هذه الأعياد قد يكون مجرد الترفيه عن النفوس وتمكينها من حرية شخصية او اجتماعية لا تنال ، والناس في معترك الحياة جادون ، وقد يدفع الى اتخاذها محبة إظهار الفرح بنعمة يصيب البلاد والعباد خيرها .

والأعياد ذات صحف ماضية مجيدة ينشرها في جو من الفرح والسرور ابناء العصر الحاضر عن آبائهم الأولين فتقرأ بتلهف وشوق ، وتفقه بعزة وانشراح فتقوى العزائم على مواصلة السير في خطة الكمال فيشيد الأبناء ما بنى الآباء وينشئون ما لم ينشئوا .

هكذا سنة الحياة ، وبمقتضى تلك السنة الفطرية وجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم حينما دخل المدينة الانصار يلعبون في يومين اتخذوهما عيدا وراثة عن الجاهلية . وقد كان من شأن الاسلام فيما يجد من عادات وتقاليد انه لا ينكرها جملة ولا يقرها جملة ، وانما يقر منها **الصالح الذي** يلبي طبيعة في الانسان ، ويورثه خيراً في مقتضيات هذه الطبيعة ، أما الذي تأباه الطبيعة ولا يتفق وتعاليمه الكريمة التي تدور حول العقيدة الصحيحة والخلق الكريم ، والسنن الحسان ، فانه يبطله ويحاربه ، ومن ذلك أقر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأنصار على أصل الفكرة ، فأباح لهم اتخاذ العيد تحصيلا لمزاياه الاجتماعية والدينية ، وألغى يومي الجاهلية مخافة أن يظن : تقديسهما او الابقاء على شعائرهما ، وعين لهم يومين قد ارتبط بهما في تاريخ الاسلام بل في تاريخ البشرية عامة ما جعلهما

غرة في جبين الدهر كله هما يوم الاضحى ويوم الفطر .

عن أنس رضى الله عنه قال قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فوجد الأنصار يلعبون فيهما فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال : قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر . رواه البيهقي في السنن الكبرى .

اتخذهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيدين ، ويوم الأضحى معروف بالعيد الأكبر ويـوم الفطر بالعيد الأصغر ، رمزا لما بين آثار اليومين من تفاوت ، فعيد الفطر يذكر بهـذه النعمة العظمى التي كـانت اساسا لبناء دولة الانسانية الموحدة ، دولة التحاكم الى الرحم الواحدة ، دولة الصفاء الروحي والاستقامة القلبية ، دولة الحق والعدل ، دولة العلم والحكمـة ، دولـة التعمـير والبناء ، دولة الهدى والرشاد ، دولة السعادة في الدنيا والآخرة ، فيوم الفطر يوم البناء ، ويو الأضحى يوم الإكمال والإتمام لهذا البناء« **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نـعمتي ورضيت لكم الاسـلام دينا** »(**المائدة ـ ٤**)

والأمم النـاهضة لا تعـرف في تاريخها أعز من يومها الاول الذي وضع فيه اساس البناء ويومها الثاني الذي تم فيه صرح البناء ، وما أليق اليومين بأن يكونا عيدين ترسم فيها ذكرياتهما وآثارهما على صفحـات القلوب .

ويوم الفطر هو أول يوم يأتي بعد رمضان ، وصوم رمضان ركن من أركان الاسلام ، وفي ذلك اليوم تعود الى المؤمن حريته الشخصية في مأكله ومشربه وغيرهما بعد ان سلمها لمولاه طائعا مختارا ، ولولا الإيمان بأن سلب الحرية بأمر الله وعودتها بأمر الله من الكمال الإنساني لما رضيت طبيعته بسلب ـ حريتـه في مأكلـه ومشربه وغيرهما شهرا كاملا ، وهذا أقوى شاهد بأن الحرية مطلب عزيز لا يضحى الا في سبيل مجد هو أعز منه ، ذلك المجد هو رضوان الله ومغفرته .

ويوم الفطر هو أول يوم يشعر فيه المؤمن بفرحتين عظيمـتين لهما الأثر القوي في حياته وقوتها ، فرحة القيام بالواجب ، واجب الطاعة والامتثال لله ، وفرحة الثقة بحسن الجزاء ، وفي هاتين الفرحتين يقول عليه الصلاة والسلام « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه »رواه البخاري ومسلم .

واذا كنا نجد في يوم الفطر التذكير ببناء الاسلام تشريعا ، ونجد فيه لذة القيام بواجب الصـوم ونجد فيـه الشعور بلذة العـودة الى الحريـة الشخصيـة ، ونجد فيـه الايمـان واليقين بحسن الجزاء ـ للصائمين والمحسنين ، فنتخذه لكل ذلك عيدا ، فيه نفرح ونتزاور ، وفيه نتهادى ، وفيه نستريح من عناء الاعمال ، فإننا نجد له اعتبارا وراء ذلك كله يضاعف المعنى في عيديته ـ ذلك ان يوم الفطر هو الذي يعود فيه الصائم من رحلة روحية ميقاتها شهر رمضان ، ترك

فيها خالصا لوجه الله مـألوفـاته ومشتهياته واكتسب فيها خلق المراقبة الذي يجعل لـه من قلبه وايمـانه الحارس اليقظ والرقيب الذي لا ينام ، كما اكتسب فيها خلق الرحمة لعباد الله ، وخلق الصبر على الشدائد ، وصار بكل ما اكتسب فيها منبع خير لنفسه ولعباد الله ، وفي الوقت الذي تختم فيه هذه الرحلة الروحية بيوم الفطر ، تبدأ فيه رحلة أخرى ينضم فيها البدن الى الروح ويستعين المؤمن على مشاقها بما اكتسبه في الرحلة الأولى من الأخلاق ، الصبر والعزم والإيمان وتلك هي رحلة الحج التي تبدأ من يوم الفطر« **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتـزودوا فـان خـير الـزاد التقوى »(البقرة ـ ١٩٧)**

ان يوما تنتهي به رحلة بدنية روحية هي رحلة الصوم ، وتبدأ به رحلة أخرى بدنية روحية هي رحلة الحج وزيارة بيت الله الحرام الجدير بان يكون عيدا فوق الأعياد .

لهذه الاعتبارات كلها جعل الله يوم الفطر عيد المسلمين ، فيه يتبادلون التهاني ، والتزاور ، وفيه يتعاطفون ويتـراحمـون ، وفيـه يتجملـون ويتزينون ، وفيه يغنون وينشدون ، وفي العيد يتمتعون بطيبات ما رزق الله ، وفيه يوثقون فيما بينهم عرى المحبة والإخاء ، ثم لم يقف بهم في معنى العيد ومظاهره عند هـذا الجانب العادي بل جعل لهم فيه مظهرا روحيا يتجلى في اجتماعهم العـام الذي يفتتحون به يومهم لأداء صلاة تعرف بصـلاة العيـد ، يسبحـون فيـه ويكبرون ، ويتجلى ايضا في مظاهر العطف على الفقراء والمساكين وأرباب الحاجات ، ومن هنا يتصل الانسان بربه عن طريق المحبة والاخاء .

روى البخاري وغيره عن عائشة رضى الله عنها قالت دخل ابو بكر وعندي جاريتان من جواري الانصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث قالت وليستا بمغنيتين فقال او مزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك في يوم عيد فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أبا بكر « إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا »

وبذلك لم يكن فرح المسلمين في أعيـادهم فـرح لهو ولعب تقتحم فيـه الحرمات وتنتهك الأعراض وتشرد فيه العقول أو تسلب ، وانما هو فرح زينة وعبـادة يجمع بـين خطى الجسم والروح ، ويبقى على المعاني الفاضلة التي اكتسبهـا الانسان في شهـر رمضان وترفعه الى أسمى ما ينبغى ان تتجه اليه الانسانية الفاضلة ، وإن من الشذوذ الفاضح أن يظن المسلم ان غيرة الله على حدوده ومحارمه في رمضان أشد منها في غير رمضان ، فيستبيح لنفسه المحرمات ويتخذها في يوم عيده ومظهر عزته وأصالته عنصرا من عناصر زينته وفرحه .

فقفوا ايها المسلمون عند الحدود وصوموا عن المحارم يكن لكم اعياد في الارض واعياد في السماء .

أئمة يعتز بهم تاريخ

من الناس من تستأثر بهم رحمة الله فلا يخمل لهم ذكر ولا ينقطع لهم عمل . ومهما أغذوا السير في دار الخلود ، فانهم ـ في دنيا الناس ـ حضور وبأكرم صور البقاء مستمسكون .

ومن هؤلاء السادة الشيخ الرئيس ابن سينا اذ كان ثالث ثلاثة ينتظمهم الحديث الشريف : « **اذا مات ابن أدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، او ولد صالح يدعو له** » رواه مسلم .

واذ كانت المصادر العلمية الموثوقة ، لم تأخذ بأيدينا الى ثروة نعرفها له خلفها لأهله وذويه أو حبسها على الفقراء والمساكين فلم يتهيأ له بذلك صدقة جارية يمتد بها عمل صالح ينفعه . واذ قد كانت هذه المصادر نفسها لم تأخذ أيضا بأيدينا الى ولد صالح يدعو الله تعالى له فيبقى له بدعوته عمل صالح ينتفع به ؛ فان مما لا ريب فيه أن الشيخ الرئيس خلف علما يمتد به عمله ، على قدر ما ينتفع الناس به في مجالات الحياة سواء في ذلك حياتهم العلمية النظرية ، وحياتهم العلمية المعملية التجريبية .

الإسلام

مؤذن

للأستاذ / أحمد حسن الباقوري

ومازالت حكمة الله ماضية على السنة الشريفة في صوغه تعالى بعض النفوس على نحو يجعلها ملكا للناس أجمعين مهما فرقتهم المذاهب واختلفت بهم البيئات .

وليس يشك أحد في أن الشيخ الرئيس قد انتفع بعلمه ـ ولا يزال ينتفع به ـ كل الناس في الشرق والغرب والعجم والعرب ، لا يتجهم هذه الحقيقة أو يغض من قدرها من يؤثر كرم العدل والانصاف على الجور والميل والاعتساف .

واذا كان لمثلي أن يتحدث عن ابن سينا ، فانني أوثر أن أتجنب في هذا الحديث الجانب الفلسفي من حياته وعذرى في ذلك ، حديث كنت قد سمعته من شيخ لنا جليل منذ أكثر من ثلاثين عاما خلت فذلك حيث روى لنا رحمه الله في حلقة الدرس في الجامع

الأزهر الشريف كلمة من رسائل تنسب الى جماعة كانوا ينتحلون لأنفسهم صفة الفلسفة ، ويطلقون على جماعتهم « اخوان الصفا » وقد زعم القوم أنهم وضعوا هذا المذهب القائم على الفلسفة من أجل أنهم أرادوا أن يمهدوا به الطريق الى الفوز برضوان الله والمصير الى جنته ؛ فقالوا ـ فيما كانوا يقولون ـ إن الشريعة قد دنستها الجهالات ، وخالطتها الضلالات ولا سبيل الى غسلها من الجهالة وتطهيرها من الضلالة الا بالفلسفة . ثم قال لنا شيخنا بعد أن ساق عنهم هذا اللغو البغيض في كلماتهم البذيئة فقال : ومن شاء أن يعرف مقدار التعسف في تفكير أولئك الحمقى ، فانه واجد ذلك فيما وصفهم بهُ واصف دقيق الحس واسع الاطلاع حيث قال في شأنهم : « **إنهم تعبوا وما أغنوا ، ونصبوا وما أجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنوا وما أطربوا ، ونسجوا فهلهلوا ، ومشطوا ففلفلوا ، اذ ظنوا ما لا يمكن ممكنا وما لا يكون كائنا وما لا يستطاع مستطاعا ، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل** » .

وآية الحماقة في جماعة اخوان الصفا هؤلاء ، قولهم : ان علينا نحن الفلاسفة من اخوان الصفا أن نبحث عن الباء لماذا نقطت واحدة من تحت ، وعن التاء لماذا نقطت ثنتين من فوق ؟ .

ولست تشك كما أنني لا أشك في أن القوم سوف يظلون يبحثون في بيداء هذا الخيال السقيم ، حتى يلقوا ربهم فيحاسبهم أعسر حساب عن مالهم فيم أنفقوه ، وعن عمرهم فيم أضاعوه ، وعن الغاية التي كانوا يتحرونها من ارهاق الذهن وضياع العمر وخسار المال ، ويومئذ يندمون ولات ساعة مندم يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله .

ولعل مِنْ أحبِّ شيء إلي في هذا المقام ، أن أذكر الحراص على طلب الحقائق ، بأن ابن سينا له من اسم أبيه أوفر نصيب وأوفاه ، اذ كانت كلمة سينا ـ بغير همز ـ تعنى البركة . وقد عني هذا الوالد الجليل بولده فكان يسهل له كل طريق الى المعرفة لما كان يرى في ولده ، من الاستعداد لقبول العلم والانتفاع بالمعرفة ، حتى انه لما بلغ العاشرة من عمره كان قد حفظ القرآن وأتقن علومه ، وعرف أشياء من أصول الدين والأدب والحساب والجبر ، ثم حذق منطق الفلاسفة فتهيأ له بذلك أن يخلف ثروة علمية واسعة يحملها الى العالمين ، ما يقارب مئة مصنف بين مطول ومختصر . ومن أبرز مصنفاته وأجلها رسالة حى بن يقظان التي تنطوى على قضية بديهية خلاصتها أن الدين في تكوين الانسان فطرة فطر الله الناس عليها .

ومع أن الشيخ رحمه الله كان صادق العبودية لله حريصا على الوقوف عند الشريعة ، فقد كان الى جانب ذلك ينتهز كل سانحة لهداية الناس الى صراط الله المستقيم بغير لجوء الى سلطانه عليهم في أمرهم

ونهيهم وارشادهم الى ما فيه خيرهم العاجل والآجل شأن الذين يؤثرون في التربية أسلوب الاقناع على أساليب الاكراه والارغام .

ونضرب لك مثلا يعينك على الاذعان لهذه القضية في تاريخ الامام العظيم ـ فقد كان رحمه الله له خادم مريد شديد الاعجاب بعلوم الشيخ وفلسفته ، وكان من أجل ذلك يعجب من الشيخ الرئيس كيف يدين بدين محمد ويتابعه على آرائه مع أنه في رأي التابع التلميذ أعلم من محمد وأرقى ؟ . وكان التلميذ ربما كاشف الشيخ بذلك فيعرض الشيخ عنه أو يزجره ، في انتظار فرصة تسنح يفترصها في اقناع التلميذ بالحق ورجعه الى الصواب .

وذات يوم كان الشيخ وتلميذه في مدينة « أصفهان » وفي ليلة شديدة البرد كثيرة الثلج عاصفة الريح ، أيقظ الشيخ الرئيس خادمه ومريده في وقت السحر وطلب منه ماء يتوضأ به ليقوم الى صلاة الفجر كما كانت عادته من قبل ، ولكن الخادم تأفف وبلغ به الضجر أن اعتذر عن احضار الوضوء لأن البرد شديد والليل لا يزال بينه وبين الصبح مدى بعيد ، ثم اذا صوت المؤذن بعد قليل ينطلق في سماء أصفهان من أعلى مآذنها والناس ينطلقون في شوارع البلد استجابة للنداء الى اقامة الصلاة ، وافترص الشيخ الفرصة وطلب الى خادمه أن يعد له الوضوء ولكن الخادم أصر على الاعتذار لشدة البرد وسقوط الثلج ، وعصف الريح ، حتى اذا قال المؤذن « أشهد أن محمدا رسول الله » ، قال الرئيس المفضال لخادمه المتمرد اسمع يا هذا وأخبرني ماذا يقول المؤذن . فأجابه : انه يقول « أشهد أن محمدا رسول الله » . فقال له الرئيس الحكيم : الآن قد آن لي أن أبين لك ضلالك القديم .

انك خادمي ، ولا عمل لك الا أن تقوم على خدمتي ، وأنت أشد الناس اعجابا بي واجلالا لمنزلتي عندك ومعرفة لحقي عليك ، حتى لقد بلغ بك أنك فضلتني على محمد رسول الله وأنكرت علي أن أومن به وأتابعه على دينه . وأنت على ذلك كله تخالف أمرى في أهون خدمة أطلبها منك داخل الدار معتذراً بشدة البرد وبقاء الليل في الأفق . وهذا المؤذن ، يخرج من بيته قبل الفجر ويصعد هذه المنارة وهى أشد مكان في البلد بردا حتى اذا لاح الفجر أشاد في أذانه بذكر محمد بعد مرور أكثر من أربعة قرون على بعثته ايمانا ، واذعانا ، وتعبدا ، واحتسابا .

ولم يسع الخادم الا أن ينحني على يدى شيخه ومخدومه أو سيده ومربيه لثما وتقبيلا في دموع غزار لو لم يجد الشيخ وضوءا لأمكنه أن يجمع من هذه الدموع أسبغ وضوء .

فكذلك يجد المتأمل أوضح السبل الى أن الدين في فطرة الانسان نعمة يستعين بها على مصابرة شدائد الحياة ، ولن يغنى عن هذه النعمة أو يقوم مقامها فلسفة ، بالغة ما بلغت من قوة الحجة فيها وشدة البذل لاقامة معالمها ورفع أعلامها بين

العالمين .

وكذلك يجد الناس في حديث الشيخ الرئيس - على هذه الصورة - أن خير أنواع الفلسفة هى الفلسفة التي تستصحب في تسيارها الى أشرف غاياتها روح الدين . وأن الذين يرمون الفلاسفة أجمعين بالضلال عن سواء السبيل هم عند التحقيق وبهذا الحكم أضل الناس عن سواء السبيل .

فالانسان الخليق بصفة الانسانية ليس هو ذلك الانسان الذي وصفته الملائكة ، بأنه مفسد في الارض سفاك للدماء ، ولكنه هو الانسان الذي وصفه ربه بما يشير اليه قوله تعالى ردا على ملائكته : « اني أعلم ما لا تعلمون » .

لقد خلق الله الانسان ضعيفا ، كما قال : « **وخلق الانسان ضعيفا** » ،النساء/٢٨ وكذلك خلقه جاهلا ، كما قال : « **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا** »النحل/٧٨ .

غير انه - مع ضعفه وجهله - أعطاه الله قوة يتصرف بها تصرفا يكون له به السلطان على هذه الكائنات ، يسخرها ويذللها اذا شاء ، متى شاء ، كيف يشاء بتلك القوة الغريبة التي يسمونها « **العقل** » وهم لا يعقلون سرها ولا يدركون حقيقتها فهى التي تغني الانسان عن كل ما أعطيه الحيوان في أصل فطرته من الكساء الذي يقيه الحر والبرد ، ومن الأعضاء التي يتناول بها غذاءه ويدفع بها عن نفسه ويرد بها على عدوه ، فكان للانسان بذلك من الاختراعات العجيبة ما كان ، وسيكون له من ذلك مالا يصل اليه التقدير ولا يطمع في الاحاطة به الحسبان . فالانسان بهذه القوى - غير محدود الاستعداد ، ولا محدود الرغائب ، ولا محدود العلم ، ولا محدود العمل اذ هو يتصرف في الكون باذن الله تصرفا لا حد له . وكما أعطاه الله هذه المواهب وهذه القدرات يظهر بها أسرار استخلافه اياه في الأرض ؛ أعطاه الله أحكاما وشرائع حد فيها لأعماله وأخلاقه حدا يحول دون بغى أفراده وطوائفه بعضهم على بعض فهى تساعده على بلوغ كماله لأنها ترشده وتؤدب عقله الذي كانت له تلك المزايا . فلهذا كله ، جعله خليفته في الارض وهو أخلق المخلوقات بهذه الخلافة والضراعة الى الله عز وجل حتى لا يتحقق ظن الملائكة بالانسان فتكون خاصته المميزة أنه مفسد في الارض سفاك للدماء . وإنه ، لصائر هذا المصير الأليم ، لو ظل سائرا في طريق الغواية والتسابق الى اختراع أسلحة الفتك والدمار معرضا عن أدب الله ومتجهما منطق العقل وسالكا سبل الأثرة . فاذا هو - على ذلك - صائر الى ما تشير اليه الآية من سورة يونس : « **انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات**

لقوم يتفكرون » يونس/ ٢٤ .

ففي هذه الآية يضرب الله مثل الحياة الدنيا في سرعة زوالها بعد كمالها ، بالزرع الذي بلغ غايته القصوى في الزينة والحسن ثم تعرض له الآفة فيزول حسنه بعد أن كانت الأرض شبيهة بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون وتزينت بجميع الألوان الداخلة في معنى الزينة من خضرة وحمرة وصفرة حتى اذا صار أهل الارض أشبه بأصحاب البساتين يفرحون بحدائقهم وجناتهم وقد عظم رجاؤهم في الانتفاع بها ، ثم اذا هم يرون بساتينهم باطلة هالكة كأنها لم تكن من قبل شيئا مذكورا .

ولقد سئل فيلسوف جليل القدر سؤالا يصلح مع جوابه أن يكون تفسيرا للآية الكريمة لم يسبقه اليه سابق . فقد قيل له انك عاصرت حربين عالميتين اختلفت أسلحة القتال فيهما ، فما مبلغ علمك بالاسلحة في الحرب العالمية الثالثة اذا نشبت ؟ . فأجاب الفيلسوف اجابة عالم أديب : انني لا أعرف أسلحة تلك الحرب التي أرجو ألا تكون ، ولكنني أعرف على سبيل اليقين أسلحة الحرب العالمية الرابعة ، وهى بلا ريب أسنان الانسان وأظافره ، اذ أن أسلحة الحرب العالمية الثالثة سوف تقضى - لا قدر الله - على صور الحياة كلها ، وسوف ترد الانسان الى حياة الكهوف والمغارات .

وبتدبر هذه المعاني - على ما ينبغي لها - نكاد نعتقد أن شرائع الفطرة في الغابة أخف وزرا وأسلم عاقبة من شرائع الحضارة في رؤوس وأيدي أولئك المعاصرين الذين يرون أنفسهم أو يراهم الناس ، أدق حسا وأرفع إنسانية من أولئك الهمج المتوحشين في الغابات .

لقد كان ابن سينا مع المدرسة التي أخذ عنها وأخذت عنه قادرا على ان يدرك من أسرار الكون ما أدركه المعاصرون . ولو انه فكر بعقلية الفتك والتدمير ؛ لوصل الى تحطيم الذرة وما اليها ، لأن العلوم التجريبية لم تكن الدعوة اليها غامضة في القرآن الكريم الذي كان يتلوه ابن سينا حق تلاوته ، ويتدبره حق تدبره ، ولكن أولئك السادة الذين التزموا أدب الاسلام أو عرفوا حق الانسانية ، لم يكونوا يشغلون أنفسهم ، الا بما يعود على المجتمع الانساني كله بالسكينة والسلام في مجال النفس بترقية الوجدان ، وفي مجال الحس بتصحيح الأجسام .

واذا تهيأ للانسان أن يظفر بسلامة وجدانه ، وصحة جسمانه ، فقد تهيأ له الخير كله ، وامتهدت بين يديه سبل السعادة جمعاء ، فكان هو الانسان الذي قال الله في شأنه : « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » الاسراء/ ٧٠ .

والله المسئول أن يكتب لدنيانا أو لدنيا من يأتي بعدنا ، سكينة النفس ورخاء العيش ونعمة الصحة وسلامة الضمير . والله على كل شيء قدير وبالاجابة جدير .



للاستاذ / عبد الكريم الخطيب

بالاسلام ختمت الرسالات السماوية وبنبي الاسلام ختم أنبياء الله كما يقول تعالى : « **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما** » (سورة الأحزاب : ٤٠) وهذا يعني أن الاسلام قد أصبح برسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو

المائدة السماوية الممدودة للانسانية كلها على مدى الأزمان لتمسك عليها حياتها المادية والروحية ، ولتستشفي لها مما تبتلي به من عوارض العلل والآفات التي تدخل على الأجسام ، والأرواح ، من شهوات النفس ووساوس الشيطان ..

وهذا يعني أيضا أن من لا يقبل على هذه المائدة ـ مائدة الاسلام ـ ولا ينال حظه المقدور له منها ، لن يحتفظ بوجوده الانساني السليم الذي يؤهله لمنصب الخلافة على هذه الأرض ، ذلك المنصب الذي خلق له ، حيث أمده الخالق سبحانه بأسباب التمكن لهذا المنصب ، فاذا هو لم يمسك بهذه الأسباب ويعمل على الاحتفاظ بها ، وامدادها بالغذاء السماوي الممدود له من مائدة الاسلام ، كان ذلك ايذانا له بالخروج من عالم الانسانية والتحول الى عوالم البهائم ، والأنعام ، أو ما دون عوالم البهائم والأنعام ... وهذا ما يشير اليه قوله تعالى عن هؤلاء الآدميين الذين أبوا أن يمدوا أيديهم الى تلك المائدة السماوية ، وآثروا أن يضعوا أفواههم على ما في الأرض من الكلأ والعشب ، فيقول الحق سبحانه : (**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون**) [سورة الأعراف : ١٧٥ ـ ١٧٧] .. ويقول سبحانه في هؤلاء المعرضين عن مائدة الله ، غرورا ، وجهلا ، وحماقة واستكبارا : (**ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**) سورة الأعراف :١٧٩ .

فهؤلاء الأشقياء قد منحهم الله من فضله قوى مهيأة لأن تشرف بهم على منازل عالية في عالم الحق ، لو أنهم استعملوها في الوجوه التي خلقت لها ، ولكنهم أهملوها فلم تثمر لهم ثمرا نافعا ، بل كانت أشبه بالأرض الصالحة المهيأة للزرع والثمر ولكن يدا لم تمتد اليها بالعمل ، فأصبحت جرداء عارية ، ومرعى للحشرات والهوام ، ومأوى للعقارب والحيات .

ان هؤلاء الأمساخ من الناس .. قد كانت لهم قلوب كقلوب الناس ، وأعين كأعين الناس ، وآذان كآذان الناس ، ولكنهم أغلقوا قلوبهم فلم يصل اليها شيء من هدى السماء وأغمضوا أبصارهم فلم يروا شيئا من نور الله ، ووضعوا أصابعهم في آذانهم ، فلم يسمعوا شيئا من كلام الله . فكانوا كما قال الله تعالى فيهم : (**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم**) سورة البقرة :٧ .

وهكذا السفهاء من الناس ، يكون

بين أيديهم المـال الكثير الـذي لو أحسنوا سياسته لكانت لهم منه حياة آمنة هانئة ، ولكنهم ذهبوا بهذا المال مذاهب السوء وركبوا به مـراكب الضلال والسفه ، حتى غـرقوا في الشهوات وتلطخوا بدنس المنكرات ، واذا المال الذي في أيديهم قد تبدد وذهب هباء ، واذا أجسادهم قـد اعتلت ، واذا عقولهم قد ذهبت واذا أخلاقهم قد فسدت : (**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين**) سورة البقرة :١٦ .

(٢)

ان للانسان جانبين يتحكمان فيه ، جانبا سفليا أرضيا ، هو هذا التراب الذي تخلق منه جسده .. وجانبا علويا سماويا قدسيا ، هو تلك الروح التي هي نفخة من روح الحق سبحانه ، المستشرفة للنور ، والمتجهة اليه ..

بهذين الجانبين في الانسان تتحدد حركاتـه ، وتتشكل منـازعه ، إمـا صعودا نحو السماء ، وإما إخلادا الى الأرض .. وبين هذين الاتجاهين يأخذ كل انسان موضعه ، صاعدا ، أو هابطا .

ولو ترك الانسان وفطرته مع هذا الوجود ، لكان أشبه بالطائر ، يجمع في حياته بين الأرض والسماء ، فيمشي على رجليه في الأرض حينا ، ويحلق بجناحيه في أجواء السماء أحيانا ، فلا يظل على الأرض دائما ما دام معه جناحاه ، ولا يظل محلقا في السماء دائما ما دام يجد في الأرض بساطا له .

أفلست ترى اذن في هذا الشبه بين الانسان والطائر ما يدلك من قريب ، على تلك المستويات وهذه المنازل ، التي يكـون عليها النـاس في هذه الحيـاة ؟ .. فأنت تجـد هناك من أهملوا الجا نب الروحي فيهم ، حتى انقطعت الصلة بينهم وبين عـالم السماء ، فكانت الأرض هي كل عالمهم ومستقـرهم ومثـواهم وهؤلاء هم الكافرون ، والملحدون ، والمشركون والمنـافقـون في مـاضي الانسـانيـة وحاضرها ، ومستقبلها لا يخلو منهم زمان أو مكان !!

وهناك من الناس من استهواهم الجانب الروحي فيهم فحاولوا أن يجاوزوا المدى المقدور لهم ، فسقطوا من حالق ، وأمثال هؤلاء في الناس كثير ، منهم أصحاب المذاهب الهندية التي تذهب إلى افناء الجسد وتعطيل وظائفه ، بالرياضة العنيفة والحرمان المتصل ، وعلى طريقهم بعض المغرقة في الزهد والتجـرد ، حتى يتحول احد هم إلى دمية متحركة ، أو يكون شبحا هائما ، لا مكان له في أي ميدان من ميادين العمل بين الناس على هذه الأرض ..

(٣)

ان المسلم الحق الفاقه لدينه ، المستقيم على أمر هذا الدين ، هو ذلك الانسان الذي يأخذ مكانه المكين في الأرض والسماء ، فهو في الأرض عامل كادح ، يسعى فيعمر الأرض بعمله وجده ، كما أمره الله تعالى في قوله سبحانه : (**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها**

وكلوا من رزقه وإليه النشور) (سورة الملك :١٥) وهو في السماء مستشرف لأنوار الحق ساع الى مرضاة ربه .

والقول بأن الاسلام هو دين الفطرة ، انما يعني أنه الدين الطبيعي ، الذي يلتقي مع الطبيعة الانسانية لقاء مؤاخيا مزاوجا ، بين فطرة الله ، ودين الله ، كما يزاوج بين الروح والجسد ، والنور والطين ..

ومن هنا كان المسلم الحق آية من آيات الله ، يشهد منها الناس معالم الحق والخير ، ويرون فيها ما تسمو اليه النفوس الكريمة ، وتنشده الهمم العالية .

والمسلم الذي لا يكون في المجتمع الانساني على هذا المستوى ، هو شهادة غير صادقة على الاسلام ، وأنه كلما بعد عن حقائق الاسلام ، بعد عن اتصافه بالاسلام الى أن يكون شهادة زور في حق الاسلام .

فالدين بأهله ، وعليهم تنطبع آثاره ، وفيهم تتجلى حقائقه .. فان كان أهله على طريق الخير ، والبر والاحسان ، وعلى اقتدار من التمكن في الأرض ، وعلى اقامة ميزان الحق والعدل فيها ، كان الدين الذي يدينون به دينا قويما ، طيبا كريما ، لأنه أثمر هذا الثمر الطيب الكريم ، وان كان أهل الدين الذي ينتسبون اليه على غير طريق الاستقامة والرشاد ، ردت هذه الصفة الى دينهم ، وكانوا هم الشهداء بهذه الصفة عليه .

(٤)

واذن ، فان الذي يرى عليه بعض المسلمين من سوء في الخلق ، أو انحراف في السلوك ، أو ضلال في القول ، أو تفريط في العمل ، هو حرب على الاسلام ، وتشويه لصورته في أعين الذين ينظرون اليه من خلال هؤلاء المنحرفين ـ قليلا أو كثيرا ـ عن تعاليم الاسلام ، وموارد شريعته .. انهم بهذا دعوة تحرض الناس على البعد عن الاسلام ، والدخول في أهله ، وان لم يشعروا هم بذلك ، ولم يرغبوا فيه !!

ان المسلم الحق هو رسالة تدعو الى الاسلام ، وتفتح الطريق لمن لا يدينون به ، حيث يكبر قدر الاسلام ، ويعظم شأنه ، بقدر ما يكون عليه المسلم من علو في قدره ، وعظمة في شأنه .

والمسلم الحق ، هو أيضا شهادة قائمة على غيره ، بدعوة الاسلام ، وهو بلاغ مبين عملي عن هذا الدين ، لمن لم تبلغه الدعوة من كتاب الله وسنة رسول الله .. فان هذا المسلم الحق هو شهادة ناطقة بصدق هذا الدين ، بما يحمل من خير عظيم ، لكل من استجاب له ، واستقام على نهجه .

وانها لأمانة عظيمة منوطة في عنق كل مسلم ، يحملها الى الناس فيما يكون عليه من حسن الخلق ، واستقامة السلوك ، والاحسان في القول والعمل ..

ومن تخل عن أداء هذه الأمانة أو لم يؤدها على وجهها الكامل ، كان من الخائنين لله ولأنفسهم ، وللأمة الاسلامية .

نسأل الله الهداية والتوفيق .

بأقلام القراء

دماء على ثرى بدر

اصبح الصباح ، وقف أبو حذيفة بن عتبة يلقي نظرة على جيش المسلمين ، انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قليل من تنظيم صفوف الجيش ، ودخل إلى عريشه الذي أعد له . الآن تحسن الحال عن الأمس ، هبط النعاس على المسلمين ، وسال المطر وفيرا ، أطفأ المسلمون ظمأهم ، اغتسلوا ، توضأوا ، أقاموا الأحواض ، سكن الغبار ، تلبدت الأرض ، تماسك الكثيب وثبتت الاقدام ، لم تعد حوافر الابل تغوص .

ينظر أبو حذيفة إلى عدد المسلمين ، يبدو العدد قليلا تجاوز الثلاثمائة بقليل ، عتادهم ضعيف ، فلم يكن مقصدهم النفير ، بل كانوا يرومون عبر قريش في طريقها من الشام إلى مكة ، يقلب وجهه صوب الناحية القصوى من بدر ، عدد قريش يقترب من الألف ، مزودين بالدروع والفرسان والبعير ، تطرق أذنيه ضربات الدفوف ، ترسلها الاماء المغنيات مع قريش ، تساوره بعض وساوس ، يخشى أن تنال قريش من المسلمين لكن يقينا يبث في قلبه طمأنينة ، لن يتخلى الله عن رسوله ، في هذا اليوم ، ولم يرض المسلمون بغير إحدى الحسنيين .

تناهى إليه أن أباه عتبة بن ربيعة ممن يطعمون جيش قريش ، ينفطر حزنا على أبيه ، الرجل الكبير في قريش ، له دلوه في الرأي والمشورة ، وتسعى إليه قريش في

عظيم الأمور ، له عقل راجح ، ورغم ذلك مازال يرفل في كفره . يرفع يديه ويتمتم بالدعاء ، أن يهدي الله أباه ، أن يسلم قبل فوات الأوان . يرى أبو حذيفة حمزة وعلي بن أبي طالب عائدين ، يحملان عبيدة بن الحارث مقطوعة ساقه ، يدخلان به على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عريشه ، منذ قليل خرجوا لمبارزة ثلاثة من جيش قريش ، مكنهم الله من أعدائهم ، وعادوا منتصرين . لم يمض سوى وقت قصير حتى شاع موت عبيدة بين المسلمين .

يسمع أبو حذيفة بالنبأ ، تموج نفسه بمشاعر متقابلة ، الموت اختطف رجلا من خيرة رجال المسلمين ، ما احوجهم في هذا اليوم لكل فارس ، عزاؤه ان المبارزين من قريش قتلوا جميعا . تقفز الى رأسه صورة ابيه ، ماذا لو شاء الله ، وقابل اباه وجها لوجه في ميدان المعركة ؟ موقف رهيب ، ود لو يقوم ينادي بأعلى صوته ، يتوسل إلى ابيه أن يدخل في الاسلام .

أبو حذيفة شارد ، يستعيد في رأسه مواقف لأبيه ، كان فيها قريبا من الاسلام ، يذكر يوم أرسلته قريش إلى الرسول الكريم لاغرائه ، كي يعدل عن دعوته ، يعرض عليه المال والشرف والسيادة والملك ، ويجيبه الرسول الكريم بآيات كريمة ، ويردد أبو حذيفة الآيات : « **بسم الله الرحمن الرحيم . حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون * بشيرا ونذيرا فأعرض اكثرهم فهم لا يسمعون** »فصلت . ١ /٣

آه يا أبا الوليد ، استمعت يومها وأنصت ، وعدت إلى قريش بوجه غير الذي ذهبت به ، وقلت لهم : « خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم » . يفيق أبو حذيفة من شروده ، سمع صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ، اقبل من عريشه ينظم الصفوف ويعدلها ، يبث الحماس في النفوس ، ويشجع المسلمين على القتال في سبيل الله ، يلقى بتعليماته : « إن دنا القوم منكم فانضحوهم ، واستبقوا نبلكم ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » .

عاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عريشه ، أبو حذيفة يرسل البصر إلى الناحية القصوى من بدر ، تبدو له المعركة وشيكة ، بدأ الناس يتزاحفون ويقتربون من بعضهم ، أقبل نفر من قريش يريدون الشرب من حوض الرسول ، قتلوا جميعا إلا حكيم بن حزام ، فقد أعلن اسلامه وانضم الى المسلمين ، فرح أبو حذيفة ، تمنى أن يفيء أبوه عتبة إلى الحق ، كما فعل حكيم ، زاد اقتراب الجيشين من بعضهم ، صار الالتحام وشيكا ، ينفطر أبو حذيفة حزنا ، يدعو لأبيه ، لو قابله فسوف يتوسل اليه أن يسلم ، أن ينتزع نفسه من براثن الوثنية ، الالتحام يقترب ، يخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من عريشه ، يصيح في المسلمين : « والذي نفس

محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » . كانت إشارة الانطلاق ، سمع أبو حذيفة أحد المسلمين يصيح في حمية وشجاعة . « بخ .. بخ ما بيني وبين أن أدخل الآن إلا أن يقتلني هؤلاء » ، نظر أبو حذيفة إليه ، هو عمير بن الحمام ، أخرج تمرات كانت معه ، رماها بطول ذراعه ، لا يريد أن تطول به الحياة حتى يأكل هذه التمرات .

انطلق المسلمون يعملون سيوفهم ونبلهم في المشركين ، أبو حذيفة توشح سيفه ، وتسلح بايمانه ، تدفعه عقيدته دفعا لملاقاة الأعداء ، يود ان يتوج جهاده بالنصر او الشهادة ، هاجر من قبل وزوجته سهلة الى الحبشة في الهجرة الأولى ، وهاجر مع المسلمين إلى يثرب ، آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين عياد بن بشر الأنصاري ، لن ترضى نفسه اليوم وتسكن إلا بالنصر أو الشهادة في سبيل الله .

احتدم القتال ، حمي الوطيس ، تطاير بريق السيوف في سرعة كأنه البرق اقترب من الأرض ، الأرض التي لبدها المطر تتناثر ، يندفع المسلمون كأن هدفهم الوحيد هو الحرص على الموت .

أبو حذيفة يرى أبا عبيدة بن الجراح يفرق بسيفه جموع المشركين ، ويستبسل الرجل فيجانبونه ويبتعدون عنه ، إلا رجلا كان يتصدى لأبي عبيدة ، كلما صدف عنه أبو عبيدة تصدى له الرجل ، إنه ابوه ، عامر بن الجراح ، كان في صفوف المشركين الوثنيين ، حاول أبو عبيدة جهده الا يقتل اباه ، لكن الرجل تصدى له باصرار وثني أعمى البصيرة ، برم به أبو عبيدة ، واستلهم إيمانه وعقيدته فقتل الرجل . انطلق ابو حذيفة وقد استراح ضميره الى ما فعل ابو عبيدة ، وسكنت نفسه الى رأي تولد سريعا في نفسه ، فلينتزع من قلبه صلة القرابة ، ويبقى فقط صلته بالدين والعقيدة .

انطلق الرجل يضرب ويضرب ، وتتجلى في قلبه قوة العقيدة ، ويستعيد في عينيه منظر ابي عبيدة يضرب رأس الشرك في ابيه ، فيلتهب الرجل التهابا ، ويمرق في شجاعة لا نظير لها ، يبحث عن الموت في وادي بدر ، يقع بصره على بلال ، يصيح بلال : « أمية بن خلف رأس الكفر والضلال لا نجوت إن نجا » ويتوارى أمية عن بلال ، لكن بلالا يترصده ويتعقبه إلى أن شفى قلبه المكلوم ، وأرداه قتيلا . يبتهج أبو حذيفة ، ويشتد عزمه ، يا له من تدبير أراده الله ، أن يقف بلال وهو ينعم بعز الحرية في الاسلام ، لذلك الطاغية بالذات ، الذي أذاقه أشد صنوف العذاب ، ويمكنه من الانتقام .

يشتد القتال ، ويثور الغبار ، ويرى أبو حذيفة المشركين يتكاثرون على المسلمين ، فمعهم مائة فرس ولا يمتلك المسلمون سوى فرسين ويردد وادي بدر صدى صليل السيوف ، ويطير الهواء أصواتا تعلن عن الموت ، وتصطبغ الأرض بألوان

الموت .

يرى الرسول صلى الله عليه وسلم كثرة المشركين ، فيلجأ الى الله بالدعاء ، ويظل هكذا حتى أخذته سنة من النوم ، ثم استيقظ فرحا مستبشرا ، يتلوقول الله تعالى : « **سيهزم الجمع ويولون الدبر** » القمر / ٤٥ استبشر المسلمون ، تيقنوا من نصر الله لهم ، تحولوا إلى فرسان يشهد لهم ثرى بدر ، اندفعوا بين المشركين يثخنون فيهم سيوفهم ، تناثر جمع قريش ، سقطت رءوسهم صرعى ، مضى نهار اليوم وولى ، بدأت قريش تولي مدبرة ، راعهم ما لاقوه ، فروا عائدين كأن الجن تلاحقهم .

أبو حذيفة فرح بنصر الله ، أقبل الرسول صلى الله عليه وسلم يحصي القتلى والأسرى ، قتل من قريش سبعون ، أسر مثلهم ، نال الشهادة أربعة عشر مسلما .

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بنقل القتلى من قريش إلى القليب ، أبو حذيفة ينظر القتلى ؛ هذا أبو جهل زعيم الكفار هذا أمية بن خلف معذب بلال ، هذا شيبة ابن ربيعة عمه الوثني ، وهذا ... تجهم أبو حذيفة غامت عيناه ، طافت بوجهه سحابة حزن ، شرد شرودا عميقا ، أي عتامة ألمت بقلبك يا أبا الوليد ، أي غيوم حجبت عن بصيرتك الحق الساطع ، ألم يرق قلبك في يوم من الأيام لرسول الله صلى صلى الله عليه وسلم ، اذ خرج الى الطائف يرجو المؤازرة والنصرة من ثقيف ، فخذلوه وآذوه وسبوه ، ولجأ بعد أن أرهقه التعب ودميت عقبه إلى حديقتك ، يومها أرسلت له عبدك (عداس) بقطف من العنب .

نظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أبي حذيفة ، رأى التغير في وجهه بعد أن رأى أباه ، مقتولا ، سأله الرسول الكريم :
ـ لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء ؟

تنبه أبو حذيفة ، وأجاب الرسول منفطرا من الحزن :
ـ لا والله يا رسول الله ، ولكنني كنت اعرف من أبي حلما ورأيا وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له أحزنني ذلك .

استمع الرسول الكريم لأبي حذيفة ، ودعا له بخير ، وقال له خيرا .

لطفي عبد الرحيم

كأنهم بنيان مرصوص

يعتبر الاعلان عن وحدة المجاهدين الأفغان تحت قيادة واحدة من أبرز الأحداث الاسلامية في الشهر الماضي ، ومن الغريب ان تضرب معظم وسائل الاعلام صحفا عن الحدث ، وتتجاوزه دون اهتمام يذكر ، على الرغم من انه ينطوي على أهمية كبيرة ، ويشير الى دلالات تبعث على التفاؤل بتقدم كبير ان شاء الله ، تحرزه حركة الجهاد في افغانستان ضد الغزو الروسي .

وقد اجتمعت كلمة قادة المجاهدين الأفغان بتنظيماتهم السبعة على مبايعة عبد رب الرسول سياف قائدا لمدة سنتين قابلة للتجديد بصورة تلقائية ، وقد أدى البيعة له كل من : حكمت يار رئيس الحزب الاسلامي ، وبرهان الدين رباني رئيس الجمعية الاسلامية ، ونصر الله منصور رئيس حركة الانقلاب الاسلامي ، ومير محمد رئيس جبهة انقاذ افغانستان ، ومحمد يونس خالص ، ورفيع الله مؤذن . وجرت البيعة في المركز الرئيسي للمجاهدين في بيشاور الباكستانية بتاريخ ٩ شعبان ١٤٠٣ ٢٢/٥/٨٣ وقد تم حل التنظيمات المجاهدة كافة ودمجها في تنظيم واحد تحت اسم (الاتحاد الاسلامي لمجاهدى أفغانستان).

ومن المعروف أن العمل على توحيد صفوف المجاهدين الافغان لم يتوقف منذ بدأت حركة الجهاد ،وكانت الخطوة الاولى في عام ١٩٨٢ عندما جرى ترتيب العلاقات بين التنظيمات الاسلامية السبعة ، وأنشىء بينها نمط من الاتحاد ، كان له تأثير بالغ ، على ما يبدو ، في التمهيد لاعلان الوحدة الكاملة لها جميعا ،تحت قيادة واحدة .

ومع ذلك فلا ريب في ان دواعي كثيرة دفعت المجاهدين الافغان دفعا حثيثا الى تحقيق هذه الوحدة . لعل منها ما ظهر من ضراوة العدوان

الروسي على الشعب الافغاني ، ولا سيما في الاونة الاخيرة ، بعد أن أخذ اندربوف بزمام السلطة في الاتحاد السوفيتي ، وظهرت بوضوح ملامح استراتيجية جديدة للسوفيات في عدد من مناطق العالم ، والحقيقة ان السوفيات يدركون خطورة الورطة التي انزلقوا اليها في افغانستان وهم يبحثون الان على حل يحفظ لهم هيبتهم في الشرق الاقصى ، ولا يسمح في الوقت نفسه للمجاهدين الافغان أن يقيموا حكومة اسلامية . وهناك أكثر من اشارة الى ان السوفيات يبحثون عن مخرج عن طريق التفاوض ، وهكذا يمكن تفسير الهجمات السوفياتية الأخيرة على انها تمهيد سريع لاجبار المجاهدين على الدخول في باب المفاوضات .

وهكذا يمكننا أن ندرك الدلالات السياسية للهجمات العسكرية الكثيفة التي شنها المجاهدون حين بدأت المفاوضات في (جنيف)لحل القضية الأفغانية ، تلك المفاوضات التي لم يشترك فيها الطرفان الرئيسان : الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان ، والسوفيات .

ولعل من أبرز الهجمات التي شنها المجاهدون ما وقع على قلعة بالاحصار التاريخية الحصينة في الثامن من رمضان ، والهجوم على السفارة الروسية في اليوم نفسه ، والهجوم على اللواء (٣٨)الكوماندوز في مقاطعة (باكتيا)أواخر الشهر الماضي ، وقد قتل في هذا الهجوم (٢٠٠)من الجنود ، وأسر حوالي(١٠٠)حسب مصادر المجاهدين .

كما قام المجاهدون بهجوم على المطار العسكري بمنطقة (شنيدن)في محافظة هرات وعلى الطريق بين هرات وقندهار هاجموا قافلة روسية ، كما هاجموا قافلة اخرى على الطريق الرئيسي بين محافظتي بادغيس وهرات . وفي دروازة قندهار اقتحموا موقعا للقوات المشتركة ، وفي منطقة (كنج)غرب هرات تعرضت القوات المشتركة نفسها لهجمات المجاهدين .. كل ذلك في الأسبوع الاول من رمضان .

وبصورة عامة تؤكد مصادر المجاهدين ان ٨٠٪ من الأراضي ما تزال محررة ، يسيطر عليها المجاهدون ، منذ أن غزا السوفيات أفغانستان ، وأن السوفيات لم يحرزوا أي تقدم « ولو ضئيلا » وتنحصر سيطرة القوات الحكومية والروسية - وهي سيطرة معرضة للاضطراب والضعف يوميا - في العاصمة كابل ومواقع من المدن الرئيسية الأخرى .

وعلى الصعيد الدولي من المحتمل ان يتوصل الكبيران السوفيات والامريكان الى اعداد طبخة دولية جديدة تستهدف تهدئة اجواء التوتر المتصاعد في عدد من مناطق التماس بينهما في العالم . وهذا يعني ان قضية الشعب الافغاني تتعرض في هذه الاونة لخطر المساومات الدولية ، وهكذا تجيء وحدة المجاهدين الافغان ، ردا حاسما على منطق

المساومات واصرارا على المضي في طريق الجهاد المسلح ضد الغزاة من جهة اخرى .

ومن الملاحظ ـ على الصعيد الداخلي لأفغانستان ـ ان جانبا من الدواعي لهذه الوحدة ناجم عن ظروف داخلية . فهناك شراذم من الاحزاب غير الإسلامية التي توطىء للاحتلال الاجنبي ، وتعرقل حركة الجهاد الاسلامى هناك ، وهكذا غدا من الضروري ان يعمل المجاهدون على وضع حد لدور هذه الأحزاب ، ومن هنا كان الاعلان عن الوحدة بين المجاهدين ضرورة داخلية .

ولعل من أبرز الدواعي التي حملت المجاهدين الافغان على توحيد صفهم استجابتهم لدعوة الله تبارك وتعالى« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »وقوله تعالى« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ولا ريب في ان هذه الاستجابة من اعظم بركات الجهاد الذي يخوضه المسلمون الافغان .

ولا جرم أن تأييد الشعوب الاسلامية في العالم للشعب الافغاني ودعمهم اياه كان له أبلغ الأثر في احراز هذه الخطوة المباركة .

ان وحدة المجاهدين الافغان ، في هذه المرحلة من جهادهم ، تفصح عن دلالات عدة ، على الصعد السياسية والعسكرية ، لعل من أبرزها :

١ ـ ان التوجه السياسي الواحد للمجاهدين لن يسمح لأية قوة من القوى ، خارجية كانت او داخلية ان تنفذ في صفوف حركة الجهاد ، او تعبث بها ، او تبلبل رأي قادتها ، او تزرع الخلاف بينهم تحت دعاوى تباين وجهات النظر ، او تنوع التصورات السياسية ..

٢ ـ أن قرار القيادة المجاهدة أصبح الان يمثل ، على نحو من الشمول والأصالة ، الشعب الافغاني وارادته الحرة في الجهاد ، ورأيه في الحياة التي يريد ، والمنهج الاسلامي الذي لا يرضى سواه بديلا .

٣ ـ أن العفوية التي ربما اتصفت بها بعض المعارك السابقة ضد الغزو ، قد استحالت الان ، او هكذا يجب ان يكون إن شاء الله ـ إلى عمل منظم شامل ، ومعركة موحدة تدار بقرار واحد ، يقدر الاوضاع ، ويحسب كل حساب بصورة من الضبط والنظام متكاملة .

٤ ـ أن الشعب المسلم حين يشب عن طوق الاستبداد ، وينتزع ارادته الحرة بعزيمة الجهاد ، ويحول بين هذه الجهة او تلك وبين ان تفرض عليه من اهوائها ومطامعها وتسلطها ما تريد .. أن الشعب المسلم عند ئذ لا يمكن أن ينشق صفه ، او ينثلم حده ، ما دام يدرك أن معركته واحدة وهدفه واحد .

٥ ـ أن صدق التوجه الى الله تعالى بالعمل الصالح ، بل بذروة سنام الاعمال عنده ، هو بلا شك مجلبة لنصر الله المبين ، وكيف لا ينصر الله أحباءه ؟!

« ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » الصف (٤) صدق الله العظيم .

مع الصحافة

مع أن أكثر من حدث يستحق الاهتمام في العالم الاسلامي فان الصحافة العربية والعالمية وجهت معظم اهتمامها الى ما يجري في صفوف منظمة التحرير الفلسطينية ، وهكذا غابت عن دائرة الضوء الحرب المستعرة في تشاد ، وغابت كذلك معارك المجاهدين الأفغان ، والإعلان عن توحيد صفهم تحت قيادة واحدة .

ولقد عبرت الصحف العربية عن الأسف والإحباط لما يحدث في منظمة التحرير ، في وقت هي أحوج ما تكون فيه الى وحدة صفها ، وأشارت غير صحيفة إلى أن الصراع إذا انتقل إلى داخل الصف الفلسطيني فإن غزو اسرائيل للبنان يكون قد بلغ أقصى أهدافه . أما أوضاع الفلسطينيين المهجَّرين بعد الغزو الصهيوني ففي غاية البؤس كما يصورها تقرير لوكالة الانباء الكويتية (كونا)من مدينة طرابلس بلبنان . وفي ظلمة هذه الاوضاع المؤسفة تبرز كضوء من أمل عمليات المقاومة الشعبية في لبنان ضد الغزاة اليهود ، وقد أثبتت هذه العمليات التي تصدر عن ارادة شعبية عفوية انها الفعل الموجع الوحيد الذي يؤثر في العدو الصهيوني وسياساته المرسومة .

○ أزمة منظمة التحرير

كتبت صحيفة لوبوان الفرنسية في الاسبوع الثاني من رمضان مقالا عن اوضاع منظمة التحرير الأخيرة جاء فيه :

اذا كان الهجوم الذي شنته اسرائيل منذ عام لم ينجح في اقرار الامن في لبنان فإنه على كل حال ساهم بنصيب ضخم في اشاعة البلبلة والخلاف في صفوف منظمة التحرير الفلسطينية لدرجة ان اسرائيل لم تيأس من رؤية الفدائيين الفلسطينين يتمون بأنفسهم مشروع تدمير منظمتهم وهو الهدف الاول الذي رسمته لنفسها قوات الجنرال شارون في الصيف الماضي .

اشتباكات بالمدفعية الثقيلة تنتهي بموت واصابة حوالي عشرة اشخاص . معارك ضارية من اجل الاستيلاء على الرقابة على احدى الطرق الاستراتيجية الهامة . هذه الاشتباكات التي وقعت على مقربة من مدينة بعلبك اللبنانية لم يتورط فيها اي جندي

اسرائيلي . ولكن المتحاربين انقسموا بين « موالين »لمنظمة ياسر عرفات و« منشقين »عليها . انها معركة إبادة أخوية لم تنته الا بفضل التدخل الجرىء لبعض المدنيين الفلسطينيين الذين غامروا بانفسهم وسط المتحاربين لاقناعهم بوقف القتال .

○ أوضاع المهجرين

أذاعت وكالة (كونا)للأنباء تقريرا مفصلا عن أوضاع المهجرين الفلسطنيين ، جاء فيه :

صفوف من الخيام واطفال حفاة ونساء يتزاحمن عند نقطة وحيدة لتوزيع المياه وشيوخ يراقبون كل هذا في ملل قاتل وامل بالعودة يبتعد .. هذا المشهد ليس مخيما للاعتقال اقامته النازية ولكنه نتاج التشرد الذي تعانيه الاجيال الفلسطينية التي شردت من اراضيها على ايدي الصهاينة ثم شردت ثانية من بيوت مؤقته في جنوب لبنان اثناء الغزو الاسرائيلي خلال صيف ١٩٨٢ .

ويقول تقرير اصدرته مؤخرا وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين ان من بقي منهم في جنوب لبنان قد عارضوا بشدة قبول الخيام واحرقوها بعد ان دمرت بيوتهم ، فالخيمة بالنسبة لهم هي رمز للامال الضائعة .. رمز لكونهم قد اعيدوا الى النقطة التي بدأوا منها ، اذ ان الخيام ملازمة لسنوات النفي الطويلة ، كما ان فكرة العودة الى الخيام بعد ٣٥ سنة كان من المستحيل قبولها .

اما بالنسبة للاجئين النازحين في طرابلس فلم يكن لديهم اي خيار . فالمخيمات في المنطقة : مخيم البداوي« ٨٧٣٣ شخصا »ومخيم نهر البارد« ١٦١٩٥ شخصا »حسب احصائيات شهر مارس الماضي كانا مكتظين بالسكان .

ومع ان الكثير من الناس كانوا يتقاسمون اماكن اقامتهم المكتظة مع الاصدقاء او الاقارب فلم تكن هناك امكنة كافية للجميع . وبينما بدأ عدد النازحين يزداد بنسبة مخيفة عرضت الخيام عليهم وتم قبولها حتى وان كانت تذكر الجميع بالبداية القاسية لتشتت الفلسطينيين .

وفي نهاية شهر مايو كان يوجد في منطقة طرابلس ٥٦٨ عائلة مكونة من ٢٦٦٩ نازحا . وتم تيواء ١١ عائلة في مدرسة مهجورة في مخيم نهر البارد بينما كانت ٦٢ عائلة تعيش في ٧٤ خيمة « اربع خيام في نهر البارد وسبعون خيمة في مخيم البداوي ».

والعائلات الموجودة في طرابلس تبدو محظوظة للغاية بالمقارنة مع العائلات النازحة الى المنطقة الاخرى ولا تزال هناك ٢٣٠ عائلة تفتقر الى اي نوع من الماوى وبما ان كلفة سئجار مكان تتعدى بكثير امكاناتهم المالية فان هذه العائلات هي بدون مأوى . ولقد وصلت ٣٠ من هذه العائلات مؤخرا من البقاع حيث قضت شتاء طويلا مفضلة ذلك الانتقال الى طرابلس التي كانت في ذلك الوقت مليئة بالاصطدامات المتواصلة بين الفئات المتناحرة . ومع ان الاضطراب لا يزال يعم طرابلس فان سكان البقاع الان خائفون اكثر من ان معارك جديدة قد تنشب بين الاسرائيليين والسوريين في البقاع ويتوقع وصول عدد اكبر من العائلات الى طرابلس .

وليست المشكلة هي عدم توفر الخيام بل هي ايجاد مكان لنصبها اذ تم استعمال كل شبر متوفر من الارض في المخيمات . كما ان السلطات اللبنانية لم تأذن حتى الان بنصب مزيد من الخيام .

وبينما تنتظر العائلات ايجاد مأوى لها تحشد نفسها مع الاقارب وتقضي العائلات الاقل حظا والتي ليس لها اقارب او اصدقاء في طرابلس لياليها داخل سيارات او تقيم بصورة غير شرعية في مناطق خارج المخيم .

○ حرب استنزاف شعبية

كتبت صحيفة كريستيان سانيز مونيتور في الثاني من رمضان مقالا عن حرب الاستنزاف التي تشنها المقاومة الشعبية في لبنان ضد العدو الصهيوني وابرزت تأثير هذه الحرب على العدو . جاء في المقال :

يتزايد قلق الزعماء العسكريين والسياسيين الاسرائيليين حول الارتفاع المستمر في عدد الاصابات بين جنود الجيش الاسرائيلي في لبنان .

ومع انخفاض حدة التوتر الذي نجم من خطر احتمال اندلاع حرب وشيكة بين اسرائيل وسوريا ، بعد ان انتهت المناورات العسكرية السورية في مرتفعات الجولان وشرق لبنان ، فان انتباه الناس اصبح مشدودا اكثر للهجمات المتكررة التي يتعرض لها الجنود الاسرائيليون في لبنان ، من جانب الفدائيين الفلسطينيين واللبنانيين ، الذين يستعملون في هجماتهم هذه تكتيك : اضرب واهرب .

وتضع الاحصاءات التي تصدر عن الخسائر الاسرائيلية ضغطا اضافيا على حكومة بيغن لسحب قواتها من لبنان ولو من طرف واحد ، وحتى لو ادت معارضة سوريا للاتفاقية اللبنانية ـ الاسرائيلية الى عدم تنفيذها .

ففي شهر مايو الماضي ، قتل سبعة اسرائيليين في لبنان خلال ستين هجوما منفصلا تعرضت لها القوات الاسرائيلية معظمها جاء في النصف الثاني من الشهر. وبذلك يرتفع عدد القتلى الاسرائيليين في لبنان منذ خروج الفدائيين الفلسطينيين من بيروت ، الى ١٤٥ قتيلا وعدد الجرحى الى ٣٦٨ جريحا ، ويضم الرقمان الخسائر التي وقعت في صفوف القوات الاسرائيلية نتيجة حادث نسف مبنى القيادة العسكرية الاسرائيلية في صور والذي بلغ مجموع القتلى والجرحى فيه ٧٦ جنديا . كذلك فان هناك ٣٤٥ جنديا اسرائيليا كانوا قد قتلوا اثناء معارك الغزو الاسرائيلي الفعلي للبنان وقبل جلاء منظمة التحرير الفلسطينية عن بيروت .

وكتبت صحيفة « معاريف »الاسرائيلية اليومية في ٣١ مايو الماضي :« ليس هناك سوى اسم واحد مناسب ليطلق على ما يجري في لبنان حاليا :حرب استنزاف .. وذلك بالرغم من ادعاءات المسؤولين الاسرائيليين بأنهم لن يسمحوا للعدو بجرهم الى حرب من هذا النوع .. ».

ويواجه الاسرائيليون معضلة صعبة في وقف مثل هذه الهجمات على جنودهم في لبنان .

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الينا :

○ كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة او بحث او اسم البنك ورقم الحساب وذلك تسهيلا لارسال المكافأة .

○ موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة اشهر على الأقل حتى يتسنى نشرها في حينها .

○ المقال او البحث المرسل لا يقل عن سبع صفحات فلسكاب مكتوب بالآلة الكاتبة ولا يزيد عن عشر صفحات .

○ ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .

○ لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة .

○ يجب ان يكون الانتاج المرسل خاصا للمجلة وألا يكون قد سبق نشره او ارساله الى جهة اخرى للنشر .

○ النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه . والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية .

○ ضرورة ذكر المراجع حتي يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .

○ البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .

○ لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

المقدمة	لرئيس التحرير	٤
القرآن واداب ترتيله والاستماع اليه	للدكتور/احمد حسنين القفل	٧
يصلح المسجد اثنان	للدكتورمحمد فوزي فيض الله	١٦
الخائفون من شريعة الله .	للدكتور/حسن الشرقاوي	٢٣
دور التربية في غرس الايمان .	للدكتور/علي محمود رسلان	٢٦
اختلاف خلق الله آية على قدرته .	للأستاذ/سعد عوض المر	٣٥
رعاية المسنين ..	للأستاذ/محمد محمد عيسوي الفيومي	٤٢
وقفة تامل	للتحرير	٤٦
القيافة واثرها في اثبات النسب .	للدكتور/محمد مصطفى الزحيلي	٤٧
اصالة النظام العقابي الاسلامي	للدكتور/احمد علي المجدوب	٥٤
الماريجوانا واضرارها الجسمانية .	للمهندس/محمد عبد القادر الفقي	٦٠
من وحي العيد (قصيدة)	للأستاذ/احمد حمدي عبد الرحمن	٦٧
السنة كمصدر تشريعي	للدكتور/عجيل النشمي	٦٨
الإسلام ورعاية الطفل	للأستاذ/محمد عبد الحميد	٧٨
المرأة العاملة .	للأستاذ/علي القاضي	٨٦
السلام من مركز القوة	للدكتور/محمود محمد عماره	٩٢
يرون النور ..	للأستاذ/معوض عوض ابراهيم	٩٦
السياسة الخارجية لدولة الرسول ..	للأستاذ/علي السيد السيد فايد	٩٩
عيد الفطر عيد الشعور بالحرية .	للدكتور/عبد الله بلفقيه الحسيني	١٠٧
ائمة يحتز بهم تاريخ الاسلام (ابن سينا)	للشيخ/احمد حسن الباقوري	١١٠
المسلم رسالة وشهادة .	للأستاذ/عبد الكريم الخطيب	١١٦
باقلام القراء	للتحرير	١٢٠
كانهم بنيان مرصوص	للتحرير	١٢٤
مع الصحافة	للتحرير	١٢٧
الى السادة كتاب المجلة	للتحرير	١٣٠

مجلة الوعي الاسلامي - ص.ب (٢٣٦٦٧) دولة الكويت
KUWAIT

طباعة مؤسسة دار السياسة - الكويت